

## دلالة المفردة والتركيب في خطبة الرضي للمنهج

د. عبد الكريم السعداوي

## المقدمة:

أما بعد حمد الله بجميع محمده، والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على رسوله المصطفى وآله، فإني رأيت أكثر شراح (نهج البلاغة) عن شرح خطبة الرضي ناكبين، ولها هاجرين، فأما الناشئ منهم فراغب عن التفصيل، والشادي تارك للإزدياد، فالعلماء مغمورون، وبكرة (النهج) مغموعون. فهو ذلك الكتاب الذي ضم بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها، وتهايت به للنظر أسباب الفصاحة، ودنا منه قطافها، فمن تأمل من عباراته جملاً، يُخيل إليه «أن حروباً شبت وغارات شنت، وأنّ للبلاغة دولة، وللصراحة صولة.. وأنّ مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»<sup>(1)</sup>. فما نقول في سقط انفض من زند خاطره الواري، وغيض بدا من فيض نهره الجاري، وقطرة من سحاب علمه الغزير، ولا ينبؤك مثل خبير، والسيد الرضي - رحمه الله - (ت/406هـ) ناظم تلك العقود، وقاطف هذا العنقود، وقد ضرب الذكّر صفحاً عن شرح خطبته بوصفها مقدمة لكتاب (نهج البلاغة) الذي جمعه مما اختاره من كلام الإمام، بشكل يلائم ويجاري ما شرح به كتاب (النهج)، فمن الشراح من كان متبحراً في علم الأصول<sup>(2)</sup>، وكان قاصراً في علم اللغة والأمثال، وآخر كان فقيهاً<sup>(3)</sup>، وثالث كان كلامياً<sup>(4)</sup>، ورابع كان لغوياً مقتضباً للشرح<sup>(5)</sup>... وسأحاول - بعون الله - في بحثي المتواضع هذا شرح كل مشكل ورد في خطبة الرضي شرحاً علمياً قريباً من ما تعني به مفردات هذه الخطبة وجمالها بما توافر لي من طريق المنقول أو المعقول، وجهد المقلّ خير من عذر المخلّ. وقد سمّيته بـ(دلالة المفردة والتركيب في خطبة الرضي للنهج). فتوكلت على الله، واستوى البحث على تمهيد تسبقه مقدمة، وعلى موردين، ثم خاتمة، وتناول التمهيد الدلالة في الكلمة المفردة ودلالاتها في الجملة أو النصّ بشكل عام. وتناول المورد الأول دلالة الكلمة التي وقع فيها الإشكال استناداً إلى ورودها في المعجمات اللغوية، وأطلقت عليه (الدلالة المعجمية). وتناول المورد الثاني المفردات التي يراها مشكلة تحديداً لمعناها الدلالي وهي داخل الجملة أو دلالاتها في داخل النص، فوجدتها تنقسم على قسمين، أما القسم الأول فأطلقت عليه (الجانب اللغوي)، وأما القسم الثاني فقد تناول المعنى البلاغي وأطلقت عليه (الجانب البلاغي). فشمّل أهمّ الصور البيانية التي يراها البحث ذات تأثير دلالي في الجملة أو النصّ، وبذلك سيكون شرح الخطبة في مدار اللغة والبلاغة. وبهذا سيوزع البحث الخطبة إلى فقرات، لئلا يبعد المعنى عن النصّ المشروح لو شرح مرّة واحدة، غير أنني سأثبت نصّ الخطبة، كما وردت في بداية الشرح. وختمت البحث بخاتمة ضمت أبرز النتائج التي وصلت إليها. وقد اعتمدت نسخة (نهج البلاغة) المخطوطة الفريدة الكائنة في المكتبة الرضوية في ضريح الإمام الرضا - عليه السلام - وهي برقم (2052)، ولم أعتد نسخ شروح (نهج البلاغة) المطبوعة، لما أرى من أنّ في القدم أصالة هذا من جانب، ومن جانب آخر وجدت ألفاظاً مختلفة عمّا هو موجود في النسخ المطبوعة. واستعنت بمصادر ومراجع كثيرة من التفسير وكتب الحديث، وكتب اللغة ومعجماتها، بحثاً عن أقرب دلالة معنوية للنص، فربّما توجد دلالات لمفردة في معجم ولا توجد في غيره. وأسأل الله السداد والصواب.

## التمهيد :

## الدلالة في الكلمة المفردة :

تكفّلت المعجمات العربية بشرح الدلالات اللغوية، وهي خارج نطاق الجملة وبعض منها أصل هذه الدلالات، في حين سار بعض آخر إلى أبعد من ذلك، بإعطاء المعاني المجازية، أو المعاني المكتسبة، أو معاني صفات تلك الألفاظ بدلالات جديدة، فهي - أعني المعجمات - متأرجحة بين المعنى الوضعي وبين المعنى المكتسب للمفردات. وقد أحصى اللغويون العرب مفردات اللغة ابتداءً من الحروف نوات القيمة التعبيرية الخاصة، إحصاءً رياضياً بحثاً، استوى فيه مجموع تلك المفردات بما يكون مجموع الاحتمالات الممكنة لمعنى المفردة «فما يمكن أن يتألف من حروفنا الهجائية يجاوز اثنتي عشرة مليوناً من الكلمات، قد قرّر هذا الخليل من قبل، والمستعمل منها

(1) مقدمة محمد عبده لـ(نهج البلاغة).

(2) ينظر: شرح نهج البلاغة لميثم البحراني.

(3) ينظر: شرح عصري جامع لنهج البلاغة.

(4) ينظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

(5) ينظر: شرح نهج البلاغة لمحمد عبده، و(نهج البلاغة) لصبحي الصالح.

لا يكاد يجاوز ثمانين ألفاً، فيها يشيع حرف أكثر من حرف»<sup>(6)</sup>. والحق أن لا قيمة لفظ ما لم يجرب به الاستعمال، ولا مدلول لفظ شاع باستعمال معين، إذا فسّر على إحياء غير معناه الشائع الجاري، فاللفظ الذي تُلتمس دلالاته، ويُستشعر ما بينه وبين دلالاته من التناسب الطبيعي؛ هو اللفظ الذي جرى به الاستعمال حتى شاع فيه وأطلق عليه، وعُرف به. وهذا ما جرت عليه معظم معجماتنا العربية، واستخدمت فيه اللفظ خارج الجملة، وأعطته دلالة استعمالية منفردة<sup>(7)</sup>. وإنّ علينا - حين نفهم دلالة الألفاظ على هذه الصورة - أن نفرّق بوضوح بين القيمة التعبيرية الذاتية من جهة، وبين المكتسبة من جهة أخرى ولا سيما أنّ هذه الألفاظ قطعت شوطاً من عمرها، ومرّت بمراحل نسيها المعجميون، فلا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال معرفة ميلاد لفظ بعينه، تحديد المعنى الذي يناسبه ساعة ولادته، والمدلول الذاتي الذي يناسبه بعد إتمام ميلاده. ولا يخفى أنّ المناسبة الأخيرة، لم تنشأ مع اللفظ ولم تحضر ميلاده، بل اكتسبت إحياءها ودلالاتها من كثرة الاستعمال. فأغلب المفردات التي أوردتها المعجمات هي: ما يدور على ألسنة العرب واستعملتها في شعرها ونثرها غير محددين بدء وضعها؛ لأنّ المناسبة الذاتية للفظ لا تُلتمس إلا في اللفظ عند نشأته الأولى؛ وأنها فيما جدّده الاستعمال مدلولات ذلك اللفظ، إنما تُحمل حملاً على المعنى الأصل الأقدم، فهي تدور في فلكه فالأصل الذي تناوله المعجميون في معنى (جنى) هو: ذنب قبيح<sup>(8)</sup>، وكان الاستعمال الحقيقي له قولهم: (جنى جنابة) بتناول الثمرة من غير رخصة في أخذها، فهذا «هو الأصل في الدلالة»<sup>(9)</sup>، ثم لشيوع مثل تلك (الجنابة)، صار مجرد تناول، وإن كان جائزاً اجتناء أو اقتناء. ومثل هذا أيضاً (أخذ بجريته) أي: بذنبه وجنابته<sup>(10)</sup>، و(الجريرة) بطبيعة الحال من مادة (جرر) وهذه المادة من المواد الشائعة الاستعمال، ومعناها معروف وليس لها صلة من بعيد أو قريب بين المعنى الحقيقي وهو: (الجرّ)، الذي يعني الجذب<sup>(11)</sup>، وبين (الجريرة) بمعنى: الذنب أو الجنابة ومعجمات اللغة وكتبها القديمة لا تتوصل الى هذا المعنى المجازي، ولا الى الظروف، أو الأحوال التي يسّرت هذا الانتقال من الحقيقة الى المجاز. فهذا جملة ما نعرفه من هذا المعنى، ومن الشواهد التاريخية التي ورد فيها هذا الاستعمال. وتأسيساً على ما تقدم، سأعنى بدلالة اللفظة المفردة كما وضعتها المعجمات في أثناء شرح خطبة الرضي أولاً، وعليه سأعقد المعنى الكلي للجملة الذي ترد فيه المفردة، وربما يظهر معنى لا علاقة له بالدلالة الأصلية (المعجمية) ثانياً. فحين أقول: (كلمت الأسد)، و(قابلت القمر)، و(كرمني البحر)، هذه الألفاظ (الأسد والقمر والبحر)، قد اتخذت معاني جديدة أو مجازية فرضتها الجملة والقرينة، في حين أنّ لها معاني أصلية لغوية، وضعت في أصل اللغة غير المعاني التي استعملناها، وهذا ما سنراه في النصف الثاني من التمهيد.

#### الدلالة في الجملة:

لا تقتصر دلالة الكلمة على مدلولها فقط، وإنما تحتوي على كل المعاني التي قد تتخذها ضمن التركيب اللغوي، وذلك؛ لأنّ الكلمات في الواقع لا تتضمن دلالة مطلقة، بل تتحقق دلالاتها في التركيب الذي ترد فيه وترتبط دلالة الجملة بدلالة مفرداتها<sup>(12)</sup>، وقد يُهمل بعض من الدلالات فتكون قد نُسيّت أو اندثرت لتنتصر عليه دلالة أخرى لفظ ما في التركيب. وفي الواقع أنّ البحث الدلالي للفظ - في منظور النقد اللغوي والبلاغي - يحتلّ ذروة التأصيل الفني، حيث تتبلور الدلالة لغوياً وبلاغياً ونقدياً جملة واحدة، وهذا عند التفاصيل الدقيقة «التي تجعل الدال علامة يرمز إليها بالأشكال والمدلول أمانة يؤكد عليها بالمعاني»<sup>(13)</sup>. والتفكير في استنباط هذه العلاقة التي هي جوهر الدلالة يجب أن يحدث جلياً من دون تردّد، ومتى تمّ لنا هذا كانت الدلالة المقصودة ذهنياً حصيلة علمية فورية لاقتصران الدال بالمدلول، أو اللفظ بالمعنى، أو الإطار بالمحتوى في التركيب، ومن ذلك قوله تعالى: (وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيئَةٍ غَضْباً) (14)، وكذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا

<sup>(6)</sup> (دلالة الألفاظ: 73.

<sup>(7)</sup> (أحيلك على كل معجمات اللغة ابتداءً من (الجيم) إلى يومنا هذا.

<sup>(8)</sup> (ينظر: القاموس المحيط: 1169 (جنى).

<sup>(9)</sup> (التطور اللغوي: 44.

<sup>(10)</sup> (ينظر: القاموس المحيط: 341 (جرر).

<sup>(11)</sup> (ينظر: المصدر نفسه: 340.

<sup>(12)</sup> (ينظر: اللغة والفكر: 11.

<sup>(13)</sup> (تطور البحث الدلالي: 12.

<sup>(14)</sup> (الكهف: 79.

ما بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا (15)، دلت كل من (وراء) في الآية الأولى، و(فوق) في الآية الثانية على ضدي معنيهما الأصليين(16). وذهب بعض اللغويين ومنهم ابن قتيبة إلى أن (وراءهم)، تكون (قدماً) (17)، وتكون (خلفاً) وأورد الآية الأولى، كذلك (فوق) تكون بمعنى (دون)، وأورد الآية الثانية ثم قال: «هذا قول أبي عبيدة، وقال الفراء فما فوقها يعني: الذباب والعنكبوت»(18). ويلاحظ أنّ هذين المعنيين إنما وقعا للكلمتين بالتأويل على معنى أنّ (السنن) إذا جرت في البحر فسيكون قدامها ملك يستقبلها فيأخذها غصباً. وكذلك احتمال تأويل (فوق) بـ(دون) في الآية الثانية، إذ إن الله يضرب المثل بالصغير من مخلوقاته فما دونه تعجزاً لخلقه، وتدليلاً على أنه - تعالى - المتصرف بخلقه كيف يشاء من غير أن يقبده شيء. فهذه المعاني الدلالية الثلاثة هي التي قفزت إلى الذهن فوراً من خلال الجملة في الآيتين وحصل هذا؛ لأننا ميّزنا بين الدلالات؛ بموقع المفردة (وراء)، أو (دون) وما يقترن بهما من مفردات - في الآيتين - لها علاقة دلالية داخل الحقل لأن: «معنى الكلمة يأتي نتيجة علاقتها داخل حقل معجمي»(19). والمعنى الدلالي في الجملة هو الذي يعين أحد المعاني المشتركة للفظ الواحد، وهذا المعنى لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذهن، وإنما يقوم على نظم موجد للارتباط بين أجزاء الجملة فيخلع على اللفظ المعنى المناسب، وعلى هذا لا يجد الباحث كبير عناء في فهم لفظ (الغروب) يتردد في ثلاث مرات في ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي فيها لفظها ويختلف معناها.

يا ويح قلبي من دواعي الهوى  
اتبعتهم طرفي وقد أزمعوا  
كانوا وفيهم طفلة حرة  
إذ رحل الجيران عند وقت الغروب  
ودمع عيني كفيض الغروب  
تفتّر عن مثل أقاحي الغروب

يا ويح قلبي من دواعي الهوى  
اتبعتهم طرفي وقد أزمعوا  
كانوا وفيهم طفلة حرة

فليس متعذراً أن يفهم من وحي النظم أن (الغروب) الأول: غروب الشمس(20)، والثاني: جمع (غرب) وهو: الدلو العظيمة المملوءة(21)، والثالث: جمع (غروب) وهو: الوهاد المنخفضة(22). فاشتغال العربية على قدر لا يُستهان به من الألفاظ التي تتنوع استعمالها بتنوع الجمل والتراكيب أولت بدلالات معروفة ذهنياً، وعلى هذا سيكون مدار البحث مبتدئاً بالدلالات المعنوية خارج نطاق الجمل ثم في داخلها، مشيراً إلى أهم الصور البلاغية المستوحاة من دلالات المفردات وهي داخل الجم

### خطبة الرضي(23):

أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه، ومَعَاذاً من بلائه، ووسياً إلى جنانه، وسبباً لزيادة إحسانه.

والصلاة على رسوله نبي الرحمة، وإمام الأئمة، وسراج الأمة، المنتخب من طينة الكرم، وسلالة المجد الاقدم، ومغرس الفخار المُعْرَق، وفرع العلاء المثمر المورق. وعلى أهل بيته مصابيح الظلم، وعصم الامم، ومنار الدين الواضحة، ومناقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم أجمعين، صلاة تكون إزاء لفضلهم، ومكافأة لعملهم، وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم، ما أنار فجر ساطع، وخوى نجم طالع. إنّي كنت في عنفوان شبابي، وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة (عليهم السلام): يشتمل على محاسن أخبارهم، وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام. وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً (عليه السلام)، وعاقبت عن إتمام بقية الكتاب محازرات الايام، ومماطلات الزمان.

وكننت قد بوبت ما خرج من ذلك أبواباً، وفصلته فصولاً، فجاء في آخرها فصل يتضمّن محاسن ما نقل عنه (عليه السلام) من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والاداب، دون الخطب الطويلة، والكتب المبسوطة. فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره، معجبين ببدائعه، ومتعجبين من

15 (البقرة: 26.

16 (هذا ما نسميه بالأضداد.

17 (ينظر: أدب الكاتب: 231.

18 (المصدر نفسه: 232 - 233.

19 (اللغة والمعنى والسياق: 137.

20 (ينظر: اللسان: 1/166 (غرب).

21 (ينظر: المصدر نفسه: 1/642 (غرب).

22 (ينظر: م.ن: 169 /4 (غرب).

23 (مخطوط معارج نهج البلاغة لعلي بن زيد البيهقي، الكائنة في المكتبة الرضوية، رقم: 2052. في ضريح الإمام الرضا عليه السلام.

نواصحه وسألوني عند ذلك أن أبتدىء بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في جميع فنونه، ومتشعبات غصونه: من خطب، وكتب، ومواظ وأدب. علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الاطراف في كتاب؛ إذ كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثاله حداً قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ. ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا، لأن كلامه (عليه السلام) الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي. فأجبتهم إلى الابتداء بذلك، عالماً بما فيه من عظيم النفع، ومنشور الذكر، ومذخور الاجر. واعتمدت به أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الفضيلة، مضافة إلى المحاسن الدثيرة، والفضائل الجمّة. وأنه (عليه السلام) انفراد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الاولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد. فأما كلامه (عليه السلام) فهو البحر الذي لا يساجل، والجم الذي لا يحاقل. وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به (عليه السلام) بقول الفرزدق:

أولئك أبائي فجنني بمثلهم إذا جمعنا يا جريير المجمع

ورأيت كلامه (عليه السلام) يدور على أقطاب ثلاثة:

أولها: الخطب والوامر.

وثانيها: الكتب والرسائل.

وثالثها: الحكم والمواظ.

فأجمعت بتوفيق الله جلّ جلاله على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والادب، مفرداً لكل صنف من ذلك باباً، ومفضلاً فيه أوراقاً، لتكون مقدمة لا ستدرارك ما عساه يشدّ عني عاجلاً، ويقع إليّ آجلاً.

وإذا جاء شيء من كلامه (عليه السلام) الخارج في أثناء حوار، أو جواب سؤال، أو غرض آخر من الاغراض - في غير الانحاء التي ذكرتها، وقررت القاعدة عليها - نسبته إلى أليق الابواب به، وأشدّها ملامحة لغرضه. ربما جاء فيما أختارهُ من ذلك فصول غير مُتسقة، ومحاسن كَلِم غير منتظمة؛ لأنني أورد النكت واللّمع، ولا أقصد التتالي والنسق. ومن عجائبه (عليه السلام) التي انفراد بها، وأمن المشاركة فيها، أن كلامه (عليه السلام) الوارد في الزهد والمواظ، والتذكير والزواج، إذا تأمله المتأمل، وفكر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت، أو انقطع إلى سفح جبل، لا يسمع إلا حسّه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلياً سيفه، فيقطّ الرقاب، ويُجذّل الابطال، ويعود به ينطّف دماً، ويقطر مهبجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزهّاد، وبدلّ الأبدال. وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه اللطيفة، التي جمع بها بين الاضداد، وألف بين الاشتات، وكثيراً ما أذاكر الاخوان بها، وأستخرج عجبهم منها، وهي موضع للعبرة بها، والفكرة فيها. وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المررد، والمعنى المكرر، والعذر في ذلك أن روايات كلامه (عليه السلام) تختلف اختلافاً شديداً؛ فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وُجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير موضعه الاول؛ إما بزيادة مختارة، أو لفظ أحسن عبارة، فنقتضي الحال أن يعاد، استظهاراً للاختيار، وغيره على عقائل الكلام. ولا أدعي - مع ذلك - أنني أحيط بأقطار جميع كلامه (عليه السلام) حتى لا يشدّ عني منه شادّ، ولا يندّ نادّ، بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إليّ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يديّ، وما عليّ إلا بذل الجهد، وبلاغ الوسع، وعلى الله سبحانه نهج السبيل، وإرشاد الدليل، إن شاء الله تعالى. ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بـ«نهج البلاغة» إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرب عليه طلابها، وفيه حاجة العالم والمتعلّم، وبغية البليغ والزاهد، ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل، وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق، ما هو بلال كل غلّة، وشفاء كل علة، وجليء كل شبهة.

ومن الله سبحانه أستمدّ التوفيق والعصمة، وأنتجّر التسديد والمعونة، وأستعيذه من خطأ الجنان، قبل خطأ اللسان، ومن زلة الكَلِم، قبل زلة القدم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المورد الأول

الدلالة المعجمية:

قوله (بعد حمد الله)؛ (بعد): مقابل (قبل)، وقوله (جعل الحمد ثمناً لنعمائه)، (الثنان): عوض البيع، وما استحقَّ به ذلك الشيء<sup>(24)</sup>، والحمد نقيض الذم، يُقال: حمدتُه حمداً، ومحمدةً، فهو: حميد ومحمود، والحمد: أعمُّ من الشكر؛ لأنه يقوم مقام المدح إن لم يكن من المحمود فعل واختيار<sup>(25)</sup>. و(النعمة): اليد والصنعة، والمنَّة، وما أنعم عليك<sup>(26)</sup>، وهي في أصل اللغة؛ منفعة غرض النافع إيصالها إلى من أنعم عليه<sup>(27)</sup>. وفي قوله: (معاداً من بلائه)، العوذ: الالتجاء، كالعياذ، والمعاذ، والمعادة، والتعوذ، والاستعاذة<sup>(28)</sup>، والعوذ، أصل يدل على معنى واحد - الالتجاء إلى الشيء - ثم يُحمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه<sup>(29)</sup> فالمعاذ من يُعاذ به البلاء: من بلاه يبيلوه: إذا اختبره وامتحنه، والبلاء على ثلاثة<sup>(30)</sup> أنواع، نعمة، واختبار، ومكروه. فأما النعمة؛ فتنمُّل في قوله تعالى: (وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)<sup>(31)</sup>، وفي قوله تعالى أيضاً: (وَلِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا)<sup>(32)</sup>، ويقال: (أبلاه الله بلاءً حسناً)، أي: بكثرة المال والصحة والشباب.

وأما الاختبار، فمنه قوله تعالى: (خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)<sup>(33)</sup>. فالله خلق الموت والحياة لأجل الاختبار.

وأما المكروه: فمن الغمِّ والمحنة، والأصل المعنى الأخير.

(والبليّة): هي الناقة التي تُعقل في الجاهلية عند قبر صاحبها، فلا تُعلف، ولا تُسقى حتى تموت، أو تُحفر لها حفرة<sup>(34)</sup>، وتُترك إلى أن تتفرَّق أجزاؤها؛ لأنهم يقولون: «إنَّ الناس يُحشرون رُكباناً»<sup>(35)</sup>.

وأطلق لفظ (البلاء) على كل مشقة وعناء في الدنيا، غير أن البلاء - في الغالب - نوعان؛ بلاء بالشرِّ، وآخر بالخير، وقد قال تعالى: (وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْأَخِيرِ فِئْتَةً)<sup>(36)</sup>. فالله يبلي العبد بالصنع الجميل ليمتحن شكره، ويبيلوه بالشرِّ والبلى ليمتحن صبره، وفي الآية؛ جعل الفتنة مصدراً من البلاء، وهما متقاربان إلا أن الفتنة لا تكون إلا في الشرِّ.

وقوله (ووسياً إلى جنانه):

الوسيلة: ما يُتقرَّب به إلى الغير، والجمع؛ الوسائل، ويُقال: توسَّل إليّ بوسيلة، أي: تقرَّب إليه بعمل<sup>(37)</sup>، ومن هذا قوله تعالى: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)<sup>(38)</sup> أي: القرية، وفي حديث النبي 9: «سلوا الله لي الوسيلة»<sup>(39)</sup>، فقد طلب من أمته الدعاء هضماً لنفسه، أو لتنتفع به أمته، ويثاب عليه، ومع هذا فإنه يزيد بدعاء أمته كما يزيده بصلاتهم عليه.

(والواصل): الراغب إلى الله، ومنه اشتقاق<sup>(40)</sup> الوسيلة. و(الجنة): البستان، ولا تسمى جنة حتى يجنَّها الشجر، و(الجن): السُّر، ومن هنا كانت جنة الليل: ظلامه، فالظلمة تستر، ولا سيما إذا ادلهم الليل، وقال تعالى: (جَنَّاتٍ عَدْنٍ)<sup>(41)</sup>؛ لأنها مستورة عن الأعين، والعرب تسمي؛ النخيل: جنة، فسمي الله دار الثواب جنة<sup>(42)</sup> لوجود الشجر

<sup>(24)</sup> ينظر: القاموس: 1091 (ثمن).

<sup>(25)</sup> ينظر: الأساس: و(القاموس)، و(مجمع البحرين): 161، 266، 1/569 (حمد).

<sup>(26)</sup> ينظر: مختار الصحاح: 668.

<sup>(27)</sup> ينظر: الصحاح: 2041 (نعم).

<sup>(28)</sup> ينظر: المصدر نفسه: 316 (عوذ).

<sup>(29)</sup> ينظر: مقاييس اللغة: 4/183 (عوذ).

<sup>(30)</sup> ينظر: مجمع البحرين: 1/247.

<sup>(31)</sup> الأعراف / 141.

<sup>(32)</sup> الأنفال / 17.

<sup>(33)</sup> الملك / 3.

<sup>(34)</sup> ينظر: الصحاح: 2285 (بلا).

<sup>(35)</sup> المصدر نفسه.

<sup>(36)</sup> الأنبياء / 35.

<sup>(37)</sup> ينظر: القاموس: 985 (وسل).

<sup>(38)</sup> المائدة / 38.

<sup>(39)</sup> مجمع البحرين: 4 / 501.

<sup>(40)</sup> ينظر: القاموس: 985 (وسل).

<sup>(41)</sup> التوبة / 72.

<sup>(42)</sup> ينظر: القاموس: 1093 (جنن).

والنخل، وأصلها من الستر - كما قلنا - تستر لتكاثف والتفاف أغصانها بعضها ببعض، ومن هذا قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) (43). و(الرحمة): هي الرقة، والمغفرة، والتعطف، قال الزمخشري: «ومن المجاز رحمة الله، وهو الرحمن الرحيم: الواسع الرحمة، وبينهما رجم، ورُحْمٌ» (44). ومن هذا اشتق (الرحمن الرحيم)، فهي الرحمة في بني آدم، فعند العرب: رقة القلب، ثم عطفه، وفي الله: عطفه وبرّه ورزقه وإحسانه. و(الرحمن): ذو الرحمة ولا يوصف به غير الله، بخلاف (الرحيم) الذي هو عظيم الرحمة (45)، وقيل للنبي محمد 9 نبي الرحمة لقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (46) والإمام: ما يُقْتَدَى به (47)، أي: يأتي به الناس، فيتبعونه، ويأخذون عنه (48)؛ لأنّ الناس يأمون أفعاله، أي يقصدونها، فيتبعونها، ويُقال للطريق إمام؛ لأنّه يؤمّ، أي: يُقصد، ويُتبع. و(السراج): أصل يدلّ على الحسن والزيينة والجمال، وسَمِّي (السَّرَج) سراجاً؛ لأنّه يزين الدواب، وسَمِّي (السراج): سراجاً لحسنه وضيائه (49)، ولهذا سَمَّيت الشمس: السَّرَاج، لحسنها وضيائها أيضاً، ثم أطلق لفظ (السراج) على كل نور وجمال. و(الأمة) هي: الإمام، والقدوة، فهي من الأمّ والقصد (50)، ولها معانٍ كثيرة منها: (الدين) (51)، ومنه قوله تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) (52)، وفي هذا المعنى قال النابغة الذبياني:

«حلفت فلم أترك لنفسك ربيبةً  
وهل يأتئمن ذو أمةٍ وهو طائع» (53)

وتعني الواحد، كما في قوله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) (54)، وقد عنى بها آدم - عليه السلام - وحده (55)، وهذا عندي عين الصواب؛ لأنّ لا يوجد أحد من البشر إلا آدم، هذا أولاً، وأنه؛ يمثل البشر كلّهم، فهو أبوهم، وهذا ثانياً. ولهذا يكون أمة، ومثله أيضاً - أي تعني الواحد - قوله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) (56)، وأغلب الظن أنّ الله - عز وجل - جعل إبراهيم - عليه السلام - أمةً لدينه، وأخلاقه، فأراد أن يقول: إنّ إبراهيم وحده أمة، بما تمتلك الأمة من القدرات الدينية والدنيوية، ومثل هذا أيضاً قول النبي 9 في زيد بن عمرو بن نفيل: «إنّه يُبعث أمةً» (57).

ويقال: لجميع أجناس الحيوان؛ أمة كما في قوله تعالى: (وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ) (58)، أي: في الخلق والرزق والحياة والموت والحشر والمحاسبة والاقتصاص بعضها من بعض. والأمة: الجماعة، ومنه قوله تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) (59)، وسَمَّيت بذلك؛ لأنّ الفرق تآمها، ومن هذه الأمم أمة محمد 9 في قوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (60). و(الأمة): الخلق كلّهم، وأمة كل نبي: أتباعه، ومن لم يتبع دينه، وإن كان في زمانه فليس من أمته (61). و(المنتجب)، المختار، والمنتقى، والمصطفى من غيره (62)، و(الطينة): أخصّ من الطين، وهي: قطعة

(43) الأعراف / 19.

(44) أساس البلاغة: 265 (رحم).

(45) ينظر: القاموس: 1025 (رحم).

(46) الأنبياء / 107.

(47) ينظر: مختار الصحاح: 26 (أمم).

(48) ينظر: مجمع البحرين: 1/105.

(49) ينظر: مقاييس اللغة: 3/156 (سرج).

(50) ينظر: الأساس: 23 (أمم).

(51) ينظر: العين: 8/428 (أمم).

(52) الزخرف / 22 و 23.

(53) ديوانه: 235.

(54) البقرة / 213.

(55) ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان): 2/195.

(56) النحل / 120.

(57) أسد الغابة: 9/417، و(مجمع الزوائد): 9/417 و(تهذيب التهذيب): 3/422.

(58) الأنعام/38.

(59) الحج/22.

(60) آل عمران / 110.

(61) ينظر: مجمع البحرين: 106 - 107.

(62) ينظر: مختار الصحاح، و(القاموس): 646، و 139 (نجب).

منه، يُختم بها الصكّ، ومنها: (طينتُ الكتاب)؛ جعلتُ عليه طينة الختم، وهي: الخلقة والجبلة<sup>(63)</sup>. و(السَّلّ): انتزاع الشيء وإخراجه في رفق كالاستلال<sup>(64)</sup>، و(السُّلالة): الخلاصة؛ لأنها تُسَلُّ من الكدر، ومن هذا قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ)<sup>(65)</sup>، وهي: النطفة، أو ما ينسلُّ من الشيء القليل<sup>(66)</sup>، وتعني الولد، وفي هذه الدلالة تكون - السلالة - كناية لانسلال الولد من أبيه، ويسمى حينئذٍ بـ(السليل)، فعلى هذا صار سلالة الرجل: ولده وسلالة الشيء: خالصه و(مغرس)؛ من (غرس) الشجر إذا أثبتته في الأرض<sup>(67)</sup>، فهو مغروس، و(مغرس) على وزن (مَفْعَل)، فهو اسم مكان الغرس<sup>(68)</sup>. و(الفخار): هنا الفخر في النسب والمكارم<sup>(69)</sup>. و(مُعْرَق): تدور دلالاته المعنوية في معجمات<sup>(70)</sup> العربية على أصل كلِّ شيء، فهو: مجرى الدم والعصب من أطناب المفاصل، والأخير غير مجوّف، وفلان مُعْرَق له في الكرم، أو اللؤم، وهو عريق فيهما، أي: صار له أصل فيهما، ومنه قول الشاعر:

«جَرَى طَلْقاً حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ دَنَا تَدَارَكَهُ أَعْرَاقُ سُوءٍ فَبَلَدًا»<sup>(71)</sup>

و(الأهل)، أهل الرجل: عشيرته، وذوو قرياه، والرجال الذين هم آله<sup>(72)</sup>، وقيل آل الرجل: ولده، ونسله<sup>(73)</sup>، وقال النابغة الجعدي:

«وَعَنَاجِيحُ جِيَادٍ نُجِبٍ نَجَلٌ فَيَاضٍ وَمِنْ آلِ سَبَلٍ»<sup>(74)</sup>

وقال النابغة الذبياني:

«قَعُودٌ عَلَى آلِ الْوَجِيهِ وَلا حَقٌّ يُقِيمُونَ حَوْلِيَاتِهَا بِالْمَقَارِعِ»<sup>(75)</sup>

و(العصم)، جمع عصمة، وهو المنع<sup>(76)</sup>، و(المنار): المسرجة والمنذنة<sup>(77)</sup>، و(مناقيل) جمع متقال، وهو مقدار وزن الشيء، وليس كما تظنّه العامة أنه اسم للدينار<sup>(78)</sup>. و(الراجحة)، الثقيلة<sup>(79)</sup>، يقال: رجحتُ إحدى الكفتين الأخرى، أي: مالت بالموزون. و(إزاءً لفضلهم)؛ يقال: هو إزأؤه: أي قيّمه، وهو بإزائه، أي: بحذائه<sup>(80)</sup>، وفي الحديث: «وفرقة آزت الملوك»<sup>(81)</sup>، أي: قاتلتهم وقابلتهم، وقاومتهم. و(كفاء) من كافأه؛ أي جازاه<sup>(82)</sup>، ويقال: لا كفاء له: أي لا نظير، وخوى النجم: أي سقط<sup>(83)</sup>. و(عنفوان) العُنفُ، ضدّ الرفق واللين<sup>(84)</sup>، و(عنفوان السن والنبات): أولهما، و(الغضاضة): الطراوة. و(خصائص الأئمة)، (الخصن): يدلّ على الفرجة والثلمة، يُقال:

<sup>63</sup> (يُنظر: أساس البلاغة، و(القاموس): 477، 1119 (طين)).

<sup>64</sup> (يُنظر: القاموس: 934 (سلل)).

<sup>65</sup> (المؤمنون / 12).

<sup>66</sup> (يُنظر: مجمع البحرين: 402 / 2).

<sup>67</sup> (يُنظر: المعجم الوسيط: 649 (غرس)).

<sup>68</sup> (يُنظر: شذا العرف: 82).

<sup>69</sup> (يُنظر: مجمع البحرين: 3/369 (فخر)).

<sup>70</sup> (يُنظر: الأساس، و(القاموس)، و(مجمع البحرين): 496، 837، 3/165 (عرق)).

<sup>71</sup> (العين: 5/103، و(الفائق): 1/426، و(اللسان): 3/96، ولم ينسبوه).

<sup>72</sup> (يُنظر: القاموس: 887 (أهل)).

<sup>73</sup> (يُنظر: جمهرة اللغة: 769 (أهل)).

<sup>74</sup> (ديوانه: 114).

<sup>75</sup> (ديوانه: 86).

<sup>76</sup> (يُنظر: القاموس: 1049 (عصم)).

<sup>77</sup> (يُنظر: المصدر نفسه: 454 (نور)).

<sup>78</sup> (يُنظر: المستطرف: 175).

<sup>79</sup> (يُنظر: المعجم الوسيط: 329 (رجح)).

<sup>80</sup> (يُنظر: (الصحاح): 2268 (أزا)).

<sup>81</sup> (الفائق: 1/40 - 41 و(النهاية): 1/47).

<sup>82</sup> (يُنظر: القاموس: 60 (كافأ)).

<sup>83</sup> (يُنظر: المصدر نفسه: 1179 (خوى)).

<sup>84</sup> (يُنظر: القاموس و(المعجم الوسيط): 775، 631 (عنف)).

خصَّص فلاناً: أفرده من بينهم، أي: أوقع فرجة بينه وبين غيره، وخصَّصان<sup>(85)</sup> الناس: الخواص منهم. و(محاجرات الأيام): ممانعاتها<sup>(86)</sup>. و(مماطلات) جمع مماطلة، وهي: التسويف بالعدَّة<sup>(87)</sup> والدين. و(معجبين) من قولك: أعجب فلان برأيه، وبنفسه، فهو معجب بهما؛ والاسم (العجب) ويعني: الزهو والكبر<sup>(88)</sup>، ولا يكون إلا في المستحسن، و(متعجبين) من قولك: تعجبت من كذا، والاسم (العجب)، وقد يكون في الشيء، يُستحسن، ويُستقبح، ويُتهوّل منه ويستغرب<sup>(89)</sup>، ومن ذلك قول أبي تمام:

«أبدت أسى إذ رأني مُخْلِصَ القَصَبِ  
وَأَلَّ ما كان من عَجَبٍ إلى  
عَجَبٍ»<sup>(90)</sup>

يريد أنها كانت معجبة به أيام شبابه لحسنه، فلما شاب رأسه وشاخ جسمه، انقلب ذلك العجب عجباً، إمّا استقباحاً له، أو تهوُّلاً منه، واستغراباً لما آل إليه شكله. وقوله: (النواصع) جمع ناصعة، والناصع من كل شيء خالسه، ونصع الأمر، وضح وبان<sup>(91)</sup>. و(ثواقب الكلم) مضيئاتها، و(الثاقب): المضيء الذي يثقب الظلام بضوئه، فينفذ فيه، وقيل: هو النافذ من المشرق إلى المغرب<sup>(92)</sup>، ومنه قوله تعالى: (شِهَابٌ مُّقْتَبٌ) <sup>(93)</sup>. و(فنون الكلام): ضرابه<sup>(94)</sup>، و(عنه أخذت قوانينها)، القوانين: جمع قانون؛ وهو كلّ صورة كلية، يتعرّف منها أحكام جزئياتها المطابقة لها، والقانون: الأصل، وليس بلفظ عربي، بل هو لفظ معرّب سرياني، وقيل رومي أو فارسي<sup>(95)</sup>، وقيل إنه من (القن)؛ لأنه ثابت لا يمكن أن يزداد فيه، أو ينقص منه، فهو: (مقنن) كالعبد القن، ثبتت عيوديته من جهتين<sup>(96)</sup>، والجهتان هما: مُلْكٌ هو، ومُلْكٌ أبوه من قبله، أو من (القنن)، وهو: الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القننى<sup>(97)</sup>، وكذلك (القنّان) بضمّ القاف، لكون القانون هادياً في تعرّف جزئياته. و(حذا): اقتفى واتبع<sup>(98)</sup>. و(مسحة)، كقولك: على فلان مسحة من جمال، أو هزال، يريد شيئاً منهما<sup>(99)</sup>، قال رسول الله 9 في جرير بن عبدالله البجلي «عليه مسحة ملّك»<sup>(100)</sup>، أي: أثر، وقال ذو الرمة:

«على وجه ميّ مسحة من ملاحه  
وتحت الثياب الشين لو كان  
بادياً»<sup>(101)</sup>

و(عبقة): رائحة<sup>(102)</sup>. و(الدثرة) الكثيرة، مال دثر، أي: كثير<sup>(103)</sup>، و(الجمّ): الكثير من كلّ شيء<sup>(104)</sup>،

<sup>85</sup> ( ينظر: الصحاح: 1037 (خصص)).

<sup>86</sup> ( ينظر: القاموس: 471 (حجز)).

<sup>87</sup> ( ينظر: المصدر نفسه: 976 (مطل)).

<sup>88</sup> ( م.ن: 117 (عجب)).

<sup>89</sup> ( ينظر: مجمع البحرين: 3/123).

<sup>90</sup> ( ديوانه: 1/115).

<sup>91</sup> ( ينظر: المعجم الوسيط: 926 (نصع)).

<sup>92</sup> ( ينظر: مجمع البحرين: 1/313 (ثقب)).

<sup>93</sup> ( الصافات / 10).

<sup>94</sup> ( ينظر: القاموس: 1127 (فنون)).

<sup>95</sup> ( ينظر: المعجم الوسيط: 763 (قنن)).

<sup>96</sup> ( ينظر: القاموس: 1130 (قنن)).

<sup>97</sup> ( ينظر: المصدر نفسه).

<sup>98</sup> ( ينظر: م.ن: 1170 (حذا)).

<sup>99</sup> ( ينظر: م.ن: 234 (مسح)).

<sup>100</sup> ( النهاية: 4/328).

<sup>101</sup> ( ديوانه: 2/361).

<sup>102</sup> ( ينظر: القاموس: 835 (عيق)).

<sup>103</sup> ( ينظر: المصدر نفسه: 364 (دثر)).

<sup>104</sup> ( ينظر: م.ن: 1006 (جم)).

و(يؤثر): أي: يحكى، ويُنقل<sup>(105)</sup>. و(القليل)، و(النادر)، و(الشاذ)، و(الشارد): مصطلحات لغوية التبس بعضها مع البعض الآخر، فلو أتينا على مدلولي (النادر) و(الشاذ)، نجد صاحب (الصحاح) يقول في مادة (ندر): «ندر الشيء ينذر نُدراً: سقط وشذّ، ومنه النوادر»<sup>(106)</sup>، وجاء في (اللسان) عن النوادر قوله: «هي ما شذّ وخرج عن الجمهور...»<sup>(107)</sup>، وذكر الفيروزآبادي هذا المعنى<sup>(108)</sup> أيضاً. فعلى هذا أنّ (الشاذ)، و(النادر) مصطلحان لمعنى واحد، و(الشارد)، تدور دلالتها المعجمية؛ حول التفرّق، و(الطرد)، و(التفرّد) و(الشذوذ)، فهي من باب الشذوذ والنوادر<sup>(109)</sup>. و(لا يساجل): أي: لا يُكاثِر، أو لا يُفاخر، ولا يُباري<sup>(110)</sup>، وأصل المساجلة: أن يستقي ساقيان، فيخرج كلّ واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر، فأيهما نكل فقد غلب، فضربته العرب مثلاً للمفاخرة<sup>(111)</sup>، قال الشاعر:

«مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُنِي مُجَاداً      يُمَلِّئُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ»<sup>(112)</sup>

و(لا يحافل): لا يجتمع، ولا يُفاخر بالكثرة، أصله من (الحفل)، وهو الامتلاء، وضرع حافل، أي: ممتلئ<sup>(113)</sup>. و(أقطاب)، جمع، مفرداها (قطب)، و(قُطْب)، و(قُطْب)، وسمي القطب قطباً؛ لأنه مجمع الرحي ودورها عليه<sup>(114)</sup>. و(الخُطْب)، قال الأزهري: «قول اللبث: خُطِبَ على المنبر خُطْبَةً، ليس بصحيح، إنّما الخُطْبَةُ الرسالة التي لها أوّل وآخر»<sup>(115)</sup>. وسميت الخُطُوب خُطُوباً؛ لأنّ الناس تتخاطب فيها لعظمتها.

وقيل: الخُطْب كلام بين اثنين، ومنه قوله تعالى: (لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً)<sup>(116)</sup>، فسُمِّيت الخُطْبَةُ خطبة لأنها كلمات تجري عند المستمعين من قائلها، ثم خُصَّ هذا الاسم بكلمات فيها ذكر الله تعالى ورسوله وأعلام الناس، فتارة يُخبرهم بأمر، وأخرى يجمع بينهما<sup>(117)</sup>. و(أجمعت): عزمْتُ<sup>(118)</sup>، ومنه قوله تعالى: (وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ)<sup>(119)</sup>، أي: عزموا على إلقائه فيها، وقوله: (فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ)<sup>(120)</sup>، أي: «اعزموا على أمر تفعلونه»<sup>(121)</sup>، وأجمعتُ على الأمر؛ فكُلُّه جائز، نصَّ على ذلك أهل اللغة<sup>(122)</sup>. و(المحاسن): جمع حسن على غير قياس؛ لأنّ الصرفيين أحصوا سبعة وعشرين جمعاً، كان منها أربعة للقلّة، وثلاثة وعشرون للكثرة، فحاولوا استقراء قواعد أكثرية، كأن يردّوا الغالب من مفردات الألفاظ على جمع من الجموع، ليقولوا إنّه القياس، وما خالفه، فهو الشاذّ، وقد ذكروا شواذّ كلّ جمع<sup>(123)</sup>. و(الجوار)، مصدر حاورته، أي: خاطبته، ومنه (المحاوره)، والمناقشة<sup>(124)</sup> في الكلام، ومنه قوله تعالى: (وَهُوَ يَحَاوِرُهُ)<sup>(125)</sup>، أي: يخاطبه، وكذلك قوله: (وَاللّٰهُ

<sup>105</sup> (يُنظر: مجمع البحرين: 1/34 (أثر).

<sup>106</sup> (الصحاح: 2/652 (ندر).

<sup>107</sup> (لسان العرب: 3/1000 (ندر).

<sup>108</sup> (يُنظر: القاموس: 447 (ندر).

<sup>109</sup> (يُنظر: المزهري: 1/234).

<sup>110</sup> (يُنظر: الأساس)، و(القاموس)، 329، 932 (ساجل).

<sup>111</sup> (يُنظر: اللسان: 13/346 (سجل).

<sup>112</sup> (المصدر نفسه؛ والبيت للفضل بن عباس.

<sup>113</sup> (يُنظر: القاموس: 906 (حفل).

<sup>114</sup> (يُنظر: الأساس، و(القاموس): 612 و 130 (قطب).

<sup>115</sup> (تهذيب اللغة: 7/246 (خطب).

<sup>116</sup> (ص / 20).

<sup>117</sup> (يُنظر: الأساس، و(القاموس)، و(مجمع البحرين): 194، 88، و 1/662، (خطب).

<sup>118</sup> (يُنظر: مجمع البحرين: 1/395).

<sup>119</sup> (يوسف / 15).

<sup>120</sup> (يونس / 71).

<sup>121</sup> (تفسير الجلالين: 284).

<sup>122</sup> (يُنظر: الصحاح: 3/1198).

<sup>123</sup> (يُنظر: الكتاب: 199 / 2، و(المخصص): 14 / 115 - 117، و(شرح المفصل): 5 / 9 - 10، و72، و73 و(شرح الشافية للرضي): 205 / 2، و(الكافية): 91، و(شرح الأشموني): 88 / 4، و(التسهيل): 186 و(شذا العرف): 98 - 112.

<sup>124</sup> (يُنظر: القاموس، و(مجمع البحرين): 356 و 1/594 (حور).

<sup>125</sup> (الكهف / 34).

يَسْمَعُ تَحَاوِرُكُمْ<sup>(126)</sup>، أي: مراجعتكما، ومناقشتكما، وتجاوبكما. (الأنحاء): الجوانب<sup>(127)</sup>، و(الملامحة): المشابهة، من قولهم فيه ملامح من أبيه، أي: مشابهة، وقيل: الملامح: جمع اللَّمَحَةِ، وقد جمعوا على غير اللفظ، وهو من النوادر<sup>(128)</sup>. و(النكت): الأثر اليسير في الشيء<sup>(129)</sup>، و(النكتة): النقطة من ذلك، كأنها تلوح وتبين من غيرها، و(اللمع): جمع مفردهما (اللمعة): وهي جماعة من كرام الناس<sup>(130)</sup>، وقيل: قطعة من النبات، إذا أخذت في اليبس<sup>(131)</sup> عند الكمال، وقيل: هي موضع لا يصيبه الماء في الغسل والوضوء<sup>(132)</sup> (خلع)، أي: نزع، ف(الخلع): التزاع، إلا أن في (الخلع) مهلة<sup>(133)</sup>، و(قَبَعَ في كِسْرٍ بيت)، يُقال: قَبَعَ القنفذ، يقبع قَبْعاً وقَبوعاً وقَباعاً، أي: أدخل رأسه في جلده، وقَبَعَ الرجل: إذا أدخل رأسه في قميصه<sup>(134)</sup>، وكلّ من انزوى في جحر أو مكان ضيق فقد قَبَعَ<sup>(135)</sup>. و(كِسْرٍ البيت): جانب الخباء؛ وفي الخبر: «شاةٌ في كسر خيمة»<sup>(136)</sup>. و(سَفَحَ الجبل) أسفله<sup>(137)</sup>؛ والأصل: يسفح فيه الماء.

و(ينغمس): غمسه في الماء<sup>(138)</sup>، يغمسه؛ وهذا الأصل فيه، وانغمس في الأمر، دخل فيه كله.

و(يقطّ الرقاب): يقطعها عُرْضاً<sup>(139)</sup> لا طولاً، وإنما ذاك القَدَّ<sup>(140)</sup>؛ قددته طولاً؛ وقططته عُرْضاً، يُقال: قَطَطْتُ الشيءَ أَقَطُّه: قطعته عرضاً بسرعة، ومنه قَطَّ القلم<sup>(141)</sup>. قال ابن فارس في (المجمل): «قال ابن عائشة: كانت ضربات علي عليه السلام في الحرب أكاراً، إن اعتلى قدّ، وإن اعترض قَطّ، يجدل الأبطال: يلقبهم على الجدالة، وهي: وجه الأرض»<sup>(142)</sup>. وهذا يعني: أن ضرباته - عليه السلام - مبتكرات لا عوناً، أي: يقتل بالضربة الواحدة ولا يحتاج أن يعيدها. و(ينطف): يقطر<sup>(143)</sup>، و(مهجاً): جمع مهجة؛ وهي: الدم، ويُقال: هي دم القلب، خاصة، و(المهجة): الروح أيضاً<sup>(144)</sup>. و(زهد): الزهد في الدين: ضدّ رَغِبٍ<sup>(145)</sup>. و(الابدال): الواحد: بديل<sup>(146)</sup>، وقيل: بَدَلٌ، وبَدَلٌ أيضاً<sup>(147)</sup>. و(غَيْرَة) مصدر قولك: غار الرجل على أهله، يَغَارُ غَيْراً وَغَيْرَةً، و(الغيرة): نفرة طبيعية تكون عن بخلٍ أو حرصٍ، مشاركة الغير في أمر محبوبٍ له<sup>(148)</sup>، فهي الحرص. و(عقائل الأمور): كرائمها، وسميت كريمة<sup>(149)</sup> الحي، عقيلة؛ لأنها عُقِلت في خدرها، وعُقِلت صواحبها أن

<sup>126</sup> (المجادلة / 1.

<sup>127</sup> ( ينظر: الأساس، و(القاموس): 741، 1228 (نحا).

<sup>128</sup> ( ينظر: الصحاح: 402 (لمح).

<sup>129</sup> ( ينظر: القاموس: 162 (نكت).

<sup>130</sup> ( ينظر المصدر نفسه: 703 (لمع).

<sup>131</sup> ( ينظر: الصحاح: 1281 (لمع).

<sup>132</sup> ( ينظر: القاموس: 703 (لمع).

<sup>133</sup> ( المصدر نفسه: 657 (خلع).

<sup>134</sup> ( ينظر: الصحاح: 126 (قبع).

<sup>135</sup> ( ينظر: المعجم الوسيط: 711 (قبع).

<sup>136</sup> ( مجمع البحرين: 4/41.

<sup>137</sup> ( ينظر: المصدر نفسه: 378 / 2.

<sup>138</sup> ( ينظر: القاموس: 519 (غمس).

<sup>139</sup> ( ينظر: المصدر نفسه: 629 (قطط).

<sup>140</sup> ( ينظر: م.ن: 292 (قدد).

<sup>141</sup> ( ينظر: الصحاح: 1153 (قطط).

<sup>142</sup> ( المجمل: 4/729 (غير محقق)، وينظر: (غريب الحديث): 1/84، و(مختار الصحاح): 251، و(لسان العرب): 4/80.

<sup>143</sup> ( ينظر: القاموس: 791 (نطف).

<sup>144</sup> ( ينظر: المصدر نفسه: 201 (مهج).

<sup>145</sup> ( ينظر: القاموس: 273 (زهد).

<sup>146</sup> ( ينظر: جمهرة اللغة: 300 (بدل).

<sup>147</sup> ( ينظر: الصحاح: 1632 (بدل).

<sup>148</sup> ( ينظر: مجمع البحرين: 3/346.

<sup>149</sup> ( ينظر: مختار الصحاح: 447 (عقل).

يبلغنها<sup>(150)</sup>. و(الأقطار): الجوانب<sup>(151)</sup>، واحدها قطر. و(الناد): المنفرد، يُقال: نَدَّ البعير، يَنْدُ نَدًّا، ونُدوداً، تفرّد وذهب على وجهه شاردأ<sup>(152)</sup>، ومنه قرأ الضحّاك: «يوم التّناد»<sup>(153)</sup> وهي: من القراءات الشاذّة<sup>(154)</sup>. و(الرّبقة): عروة الحبل، يوضع فيها رأس البهيمة<sup>(155)</sup>. ومنه في الدعاء: «اللهم أنزع عني ربقة النفاق»<sup>(156)</sup>. و(على الله نهج السبيل)، (النهج): الطريق الواضح<sup>(157)</sup>، و(السبيل): الطريق وما وضح منه، ومنه قوله تعالى (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) <sup>(158)</sup>، فالسبيل والنهج مترادفان. و(الطلاب): الطلب<sup>(159)</sup>، و(البغية): ما ابْتُغِيَ من الشيء<sup>(160)</sup>، و(بلال): كلّ ما يُبَلُّ به الحلق من الماء واللبن، فهو بلال، والجمع (بُلل) كجبال وجبل<sup>(161)</sup>، و(الغلة): العطش، أو شدّته، أو حرارة الجوف، وقد غُلّ، فهو غليل<sup>(162)</sup>. وفيه قول أوس:

«كَأَنِّي حَلَوْتُ الشَّعْرَ حِينَ مَدَحْتُهُ  
صفا صخرة صماء يبس  
بلالها»<sup>(163)</sup>

و(تنجز) استوفى<sup>(164)</sup>. و(التسديد): الصواب<sup>(165)</sup>. و(الخطأ): نقيض الصواب، سواء أكان في الأقوال أو العقائد أو الأعمال. و(الجنان): هو القلب<sup>(166)</sup>.

فهذه دلالات الكلمة المفردة خارج نطاق الجمل، وقد وضعتها كما تناولتها المعجمات اللغوية، بيد أنني قيّدت البحث بإيضاح دلالة الكلمة المفردة التي تقترب من دلالتها وهي داخل النص، وضربت الذكر صفحاً عمّا ابتعدت دلالتُهُ عن النص؛ لأن الدلالة في داخل الجملة تبعد كثيراً عمّا وضعتهُ المعجمات اللغوية، وقد تلد دلالة جديدة لم تكن قد دوّنتها المعجمات وهي داخل الجمل، وسأشرع بالدلالة اللغوية للمفردات وهي داخل النص. في المورد الآتي.

#### المورد الثاني

#### الدلالة اللغوية والدلالة البلاغية

#### الدلالة اللغوية:

قول الرضي: (بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه... زيادة إحسانه) قوله: (بعد حمد الله)، (بعد) يكون في أضافتها إلى ما بعدها خلاف، لكونها على الانفراد، وذلك إذا أضفنا وأدخلنا عليها حرف جرّ جرّته، وإن عرّيته منه نصيبته؛ لأنها مفعول فيه، تقول: جنّت بعد زيدٍ، ومن بعده، فإن أفردناه ضممناه، فقلنا: جنّت من بعدٍ وقرمت قبلاً، وبعداً، وأجاز بعضهم رفعها بتنوين<sup>(167)</sup>.

قوله: (بعد حمد الله):

<sup>150</sup> ( ) ينظر: الأساس، و(القاموس)، والمعجم الوسيط): 513 و152، و616 (عقل).

<sup>151</sup> ( ) ينظر: القاموس: 432 (قطر).

<sup>152</sup> ( ) ينظر: الصحاح: 543 (ندد).

<sup>153</sup> ( ) المؤمن/ 32.

<sup>154</sup> ( ) ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان): 40 / 24 - 41.

<sup>155</sup> ( ) مجمع البحرين/ 2/137.

<sup>156</sup> ( ) المصباح/ 264.

<sup>157</sup> ( ) ينظر: القاموس: 203 (نهج).

<sup>158</sup> ( ) النحل/ 9.

<sup>159</sup> ( ) ينظر: القاموس: 115 (طلب).

<sup>160</sup> ( ) ينظر: المصدر نفسه: 1163 (بغى).

<sup>161</sup> ( ) ينظر: م.ن: 89 (بل).

<sup>162</sup> ( ) ينظر: م.ن: 957 (غل).

<sup>163</sup> ( ) ديوانه: 100.

<sup>164</sup> ( ) ينظر: القاموس: 487 (نجز).

<sup>165</sup> ( ) ينظر: المصدر نفسه: 274 (سدد).

<sup>166</sup> ( ) ينظر: المعجم الوسيط: 116 (جنن).

<sup>167</sup> ( ) ينظر: شرح قطر الندى: 19 - 20 و(شرح شذور الذهب): 141 - 142، و(شرح ابن يعيش): 41 / 90 و(حاشية

الصّبّان): 2 / 268، و(حاشية الخضري): 2 / 16.

ابتدأ بالحمد لأسباب، كان أولها:

أَنَّ الحمد من أجلّ العبادات وأكملها؛ لأن المحسن الحق هو الله - سبحانه - فكلّ محسن من الخلق، إمّا يحسن لطلب منفعة، أو لدفع مضرة، والله - تعالى - منزه عن هذين الأمرين.  
ثانياً: لم يكن إحسانه إلاّ فضلاً ونعمة، فكان المستحقّ للحمد ليس إلاّ هو.

ثالثاً: أنّ الثناء المطلق لله - تعالى - وتعظيمه من الجهة التي كان مستحقاً لهما من دون غيره، كونه إلهاً وربّاً وخالقاً، وهذا هو مطلوب الله من جميع العبادات، وهو جارٍ منها مجرى الروح من الجسد.

رابعاً: أنّ الشكر لله - سبحانه - ملزم لمعرفته، وملاحظة الجهة التي كان مستحقاً للشكر، وهي: إفاضة النعم التي لا تُحصى على العبد، ولا يقدر غيره على مثلها. فالحمد من أكمل العبادات لله، وأنّ عبادته - سبحانه - هي المطلوبة له من خلقه من دون غيرها، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (168). فالإتيان به يلزم؛ رضوانه - تعالى - وما يفرضي ذلك من الخيرات الدائمة، والنعم الباقية، وقد أشار الرضي إلى أربعة أنواع من هذه الخيرات:

**الأول:** قبول الحمد ورضا العبد مع كونه أيسر شيء مؤنة وأخفّه على اللسان كلفة، ثمناً مقابل كافيّاً لنعماء الله - تعالى - في حقه، وذلك في الحقيقة نعمة أخرى وموهبة كبرى تستدعي حمداً آخر، وهلمّ جرا. فسبحان الذي لا تحصى نعمائه ولا تستقصى آلاؤه. وهذه هي الدلالة اللغوية للحمد في قول الرضي (جعل الحمد ثمناً لنعمائه).

**النوع الثاني** من الخيرات قول الرضي في (جعل الحمد معاداً من بلائه): لا يقصد الرضي في قوله هذا (البلاء الحسن)، ولو قصد له استعاذ منه، وقد قصد البلاء المكروه الذي يورث المحنة والحزن، فهو يحمّد الله قولاً يعاذ به من عذاب الله في الدنيا وفي الآخرة. وبيان ذلك في أمرين:

أ - قوله تعالى: (وَلَنْ نَكْفُرْتُمْ إِنّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (169)، فإنّه تعالى لما توعدّ بالعذاب من كفر بنعمته مع إرادته للحمد وللشكر وأمره بهما في غير موضع (170) مع العلم أنّ الشكر والحمد من موجبات الخلاص من العذاب الأليم، والبلاء العظيم للزمامهما عدم سببه وهو الكفران.

ب - إنّ الأتي بالحمد مستحقّ لرضوان الله تعالى من جهة ما هو حامد، والمستحقّ لرضوانه ناجٍ من عذابه، فكان الحمد محلاً للعود به من بلائه وسخطه.

**الثالث:** جعل الرضي الحمد (وسيلة إلى جنانه):

وسبب ذلك في أمرين أيضاً:

أ - كونه من أتمّ العبادات وكونه وكون العباداة وسيلة إلى الجنة وهذا أمر ظاهر.

ب - ما روي عن النبي 9 أنّه ينادى يوم القيامة: «ليقم الحمّادون، فيقوم زمرة، فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة، قيل ومن الحمّادون؟ قال: الذين يشكرون الله على كل حال» (171). فحكم دخول الحمّادين الجنة بسبب حمدهم.

ولو قال الرضي: (وسبباً إلى جنانه) لكان حسناً، فحمدُ الله طريق يوصل سالكيه إلى الجنة.

**الرابع:** جعله الحمد (سبباً لزيادة إحسانه) وبيان ذلك في الأتي:

أ - قوله تعالى: (لئن شكرتُمْ لأزيدنكم) (172). هنا جعل زيادة النعمة مشروطة، بمجرد الشكر.

ب - الجود الإلهي لا بُخل فيه، ولا منع، وإنّما النقصان من العبد، لعدم إعطائه حقّ الحمد، وإذا استعدّ لقبول النعم بالحمد أفاض الله - تعالى - عليه نعمة، ثمّ لا ينفكّ يحمد ويشكر النعم السابقة ليحصل على المزيد من النعم اللاحقة، إلى أن يُخلق له كلّ كمال الحمد ليُلحق بدرجة الملائكة المقربين المعتكفين في حظيرة الجبروت. فهذه هي الأنواع الأربعة من الخيرات التي يسببها الحمد، فهو يجعل الله - تعالى - يلاحظ عبادته بعين عنايته وشمولهم بسعة رحمته.

<sup>168</sup> ( ) الذاريات/ 56.

<sup>169</sup> ( ) إبراهيم/ 7.

<sup>170</sup> ( ) ينظر: الآيات التي أمر الله بها أن يُحمد ويشكر في (المعجم المفهرس): 266 - 267 و 474 - 475.

<sup>171</sup> ( ) مكارم الأخلاق: 211، و(جامع السعادات): 3/192.

<sup>172</sup> ( ) إبراهيم/ 7.

وقوله: (والصلاة على رسوله نبي الرحمة..... وخوى نجم طالع). أردف الرضي؛ حمد الله - تعالى - بالصلاة على الرسول محمد وهذا من الآداب الدينية التي جرت عليها العادة في إلقاء الخطب أو إنشائها.

وقد ذكر الرضي في قوله هذا أوصافاً سبعة للنبي 9 وهي الآتي:

### الأول:

كونه نبي الرحمة مأخوذ من قوله تعالى (ما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)<sup>(173)</sup>، وتتجلى هذه الرحمة في

وجوه:

أ - إنَّ الله تعالى يرحم عَصاة أُمَّته بشفاعته، فهو رحمة لأهل الدنيا في دنياهم وأخراهم.

ب - إنَّ النبي 9 رحم بعض أعدائه من اليهود والنصارى والمجوس ببذل الأمان لهم وأخذ الجزية منهم، ولم يأخذ أحد من الأنبياء الجزية سواه، حتى قال: «من آذى ذمياً فقد آذاني»<sup>(174)</sup>. ولم يقبل الله من الأنبياء الجزية قبله<sup>(175)</sup>.

ج - إنَّه 9 سأل الله تعالى أن يرفع عن عباده بعده عذاب الاستئصال، ورفع العذاب رحمة، فهو فيهم لا عذاب عليهم، وبعده لا عذاب، وقد شرط الله ذلك بالاستغفار، يتضح في قوله تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)<sup>(176)</sup>.

د - التكاليف الإسلامية التي حملها إلى الخلق أسهلها وأخفها عليهم، قياساً إلى سائر تكاليف الأنبياء السابقين لأممهم، قال 9: «بعثت بالحنفية السمحاء»<sup>(177)</sup>.

### الثاني:

يتجسد في قول الرضي (إمام الأئمة) الآتي:

أ - إن الإمام؛ هو الرئيس المقنن به في أقواله وأفعاله، والأنبياء - عليهم السلام - أحق الخلق بهذه الصفة، إذ هم الأصل في ذلك.

ب - قوله تعالى لإبراهيم - عليه السلام - (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)<sup>(178)</sup>، فإذا كان إبراهيم إماماً فالنبي إمام الأئمة لقوله 9: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة»<sup>(179)</sup>.

### الثالث:

يتبين في قول الرضي: (سراج الأمة) الآتي:

سراج الأمة: ضياؤها، ونور ظلمتها، ولهذا نزل قوله - تعالى - (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)<sup>(180)</sup>، وهنا استعار لفظ (السراج) للشمس باعتبار إضاءتها لهذا العالم كإضاءة السراج للبيت. (الأمة) في الجملة؛ تعني جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد، وتجمعهم صفات موروثية، ومصالح وأماني واحدة، أو يجمعهم أمر واحد من دين أو مكان أو زمان، فيقال: الأمة العربية، والفرنسية، والانجليزية، وما عناه الرضي هنا؛ الأمة الإسلامية.

### الدلالة البلاغية:

في قوله (جعل الحمد ثمناً لنعمائه): استعارة جميلة، ووجه المشابهة؛ أن الثمن لما كان ملزماً لرضا البائع به عوضاً عن مبيعته، وكان الحمد ملزماً لرضا الله - سبحانه - في مقابلة نعمه، لا جرم أشبه الثمن، فاستعير لفظه له. وفي الخبر أن الله تعالى أوصى إلى أيوب - عليه السلام -: «إني رضيت الشكر مكافأة من أوليائي»<sup>(181)</sup>. وقوله

<sup>173</sup> ( ) الأنبياء/ 107.

<sup>174</sup> ( ) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعية: 46 فصل 32.

<sup>175</sup> ( ) ينظر: سنن الدارمي: 1/ 29.

<sup>176</sup> ( ) الأنفال/ 33.

<sup>177</sup> ( ) النهاية في غريب الحديث: 1/451 و(مجمع الزوائد): 4/252.

<sup>178</sup> ( ) البقرة/ 124.

<sup>179</sup> ( ) مكارم الأخلاق: 220، و(الخرائج والجرائح): 2/874، و(تفسير الرازي): 6/213.

<sup>180</sup> ( ) الأحزاب/ 45 - 46.

<sup>181</sup> ( ) مكارم الأخلاق: 412.

(سراج الأمة) استعارة لطيفة له 9 فإنّ (السراج) لما كان من خاصّيته إضاءة ما حوله، واهتداء الخلق به في الظلمة، كان النبي 9 قد أضاء قلوب العالم بأنوار الوحي والرسالة حتى اهتدى به في ظلمة الجهالة، ولا جرم حسنت استعارة لفظ (السراج) وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول، وهذا على سبيل الكناية أيضاً، عن كونه هادياً للخلق، ومرشداً لهم إلى الطريق الحق.

#### الرابع:

النبي 9 منتقى من طينة الكرم، و(الطينة) لا بد من أن تكون منتقاة من الطين، فهي أنقى وأصفى من باقي (الطين) الذي شابه الملح والأوضار، فهي: أخصّ من هذه الناحية، و(الكرم): شرف الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، فهو: إثثار الغير بالخير، ولا تستعمله العرب إلا في المحاسن الكثيرة، وهو نقيض اللؤم<sup>(182)</sup>.

#### الخامس:

في قوله: (سلالة المجد الأقدم)، كونه 9 سلالة المجد الأقدم، وإضافة (سلالة) إلى (المجد) إمّا على تقدير حذف المضاف الأصلي، حتى يكون التقدير (سلالة أهل المجد الأقدم)، وإمّا - من الدلالة البلاغية - أن يكون قد استعار لفظ (المجد) لأصله 9 فكأنه خيّل أن الأصل كلّ مجد، فأعطاه لفظ (المجد) وأضاف إليه بعد الاستعارة، ثم وصف (المجد) بكونه أقدم لزيادته في الفضل على المحدث بل على القديم.

#### السادس:

في قوله (مغرس الفخار المعرق): (الفخار) هنا: المباهاة بالمكارم، والمناقب في حسب وغير ذلك ولا أغفل هنا أن أذكر مصدر (فاخر)، و(فاعل) يأتي على (فعال)، نحو قاتلت قتالاً، ومصدر (فخر) يأتي على (فعال)، إذا كان عينه أو لامه حرف حلق<sup>(183)</sup>، نحو ذهب ذهباً، ولهذا جاءت النسخ مرّة (فخار)، وأخرى (فخار). أمّا (معرق) في هذا الموضع فتعني: أصول الأرض وأركانها، ولهذا قال الإمام الصادق - عليه السلام - «أنا ابن أعراق الثرى»<sup>(184)</sup>، فأصول الأرض وأركانها من الأئمة والأنبياء كإبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وأغلب الظن أن أصل الوضع - للمعرق - جاء من النطف التي تجري في مجاري الرجل إلى أرحام الأمهات، وبما أنّ هذه النطف، هي نطف الأنبياء، فهي طاهرة مطهرة، وهذا ما عناه الرضي بقوله: في وصف النبي 9 بـ (مغرس الفخار المعرق). وقوله: (طينة الكرم) كناية عن أصله، و(الكرم): حقيقة في السخاء، ومجاز في مطلق الشرف، والمراد أنّ الله - سبحانه - اصطفاه من أصل محل الكرم والشرف، وسنرى كيف يكون ذلك في آباءه وأجداده إن شاء الله.

واستعار الرضي في قوله: (مغرس الفخار المعرق)، لفظ (المغرس) الذي هو حقيقة في الأرض لطبيعته وجبلته، وهي استعارة على وجه الكناية عن شرفه وكماله. ووجه المشابهة أن طبيعته 9 لظهور الفخار عنها كما أنّ الأرض الحرّة، محلّ لظهور النبات الطيب الحسن عنها. ووصفه بكونه (معرقاً) لزيادته على ما ليس كذلك، وهذا من قبيل ترشيح الاستعارة، فإنّه لما جعل للفخار مغرساً، جعل له عرقاً.

#### الدلالة اللغوية:

#### السابع:

قوله: (فرع العلاء المثمر) يتّضح في نقاط:

أ - إنه قال 9 «لم يزل الله - تعالى - ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، لم يدنسني بدنس الجاهلية»<sup>(185)</sup>. وكفى بذلك شرفاً، وقال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُدْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)<sup>(186)</sup>. وسنأتي على تفصيل يسير لـ (أهل البيت)، لأن الرضي ذكرهم في خطبته، إن شاء الله، وغير أن ربّ هذا البيت

<sup>182</sup> ( ) ينظر: القاموس: 1063 (كرم).

<sup>183</sup> ( ) ينظر: شذا العرف: 72.

<sup>184</sup> ( ) مجمع البحرين: 3/ 165.

<sup>185</sup> ( ) الإرشاد: 55.

<sup>186</sup> ( ) الأحزاب/ 33.

هو النبي محمد 9.

ب - إنه 9 من ولد إسماعيل وإبراهيم - عليهما السلام - وكرمهما مشهور. وإبراهيم أول من ضيّف الضيف، وأول من ثرد الثريد وأطعمه للمساكين<sup>(187)</sup>.

ح - نسبه من قريش، وشرف قريش في العرب ظاهر، فمنهم قصي، وهو الذي جمع قبائل قريش وأنزلها مكة ولهذا سُمّي (مجمّعاً). وقصي بنى دار الندوة، وأخذ مفتاح مكة من خزاعة<sup>(188)</sup>. ومن آباء النبي 9 عبد مناف وقد قيل فيه:

«ما وُلدتُ والدَةٌ من وُلدٍ  
أكرم من عبد منافٍ حسباً»<sup>(189)</sup>

ومنهم هاشم بن عبد المناف، الذي هشم الثريد لقومه في عام المحل، ومنه سُمّي هاشماً. واصل اسمه عمرو، وقال فيه الشاعر:

«عمرو الغلا هشم الثريد لقومه  
ورجال مكة، مستنون عجاف»<sup>(190)</sup>

ومنهم: عبد المطلب بن هشام، وكان من حكماء العرب، ومحصلّيها، وهو سيد الوادي، وقيل له: شبيهة الحمد، ولُقّب بمطعم الناس والوحوش، وسجد له الفيل الأعظم، وببركة النور الذي كان في صلبه، دفع الله عن بيته كيد أصحاب الفيل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، وببركة ذلك النور أيضاً، رأى الرؤيا في تعريف موضع زمزم، وهو الذي ألهم النذر، لما نذر أن يذبح العاشر من أولاده وكيفية الفداء له، وقد أفتخر رسول الله 9 بذلك وقال: «أنا ابن الذبيحين»<sup>(191)</sup>. وكان يأمر أولاده بترك الظلم والزيغ ويحثهم على مكارم الأخلاق، وكان لشرفه وفضل عقله، قد سلّم إليه النظر في حكومات العرب، وفصل الخصومات بينهم، وجزئيات فضله وشواهد عقله كثيرة. وفي حقه نظمت أشعار كثيرة، وأخبار تدلّ على أنه كان مُقرّاً بالصانع الحكيم، موحداً له، معترفاً بأمر المعاد، ومن رام التفصيل في ذلك فليطالع كتب التاريخ والسير فهذا هو معنى قول الرضي واصفاً النبي 9 أنه (فرع العلاء المثمر).

#### الدلالة البلاغية:

كونه 9 (فرع العلاء المثمر). لما استعار لفظ (الفرع) الذي هو حقيقة في أغصان الشجرة المتفرعة من أصلها 9 من جهة ما هو فرع في الوجود عن آبائهم أهل العلو والشرف، أتى بما هو من كمال الفروع، وهو كونه مثمراً مورقاً، وهو ترشيح للاستعارة أيضاً، فإنّ الغصن الخالي عن الثمر والورق، أو عن أحدهما، ناقص الكمال، والحسن وهي استعارة على سبيل الكناية عن شرفه بالنظر إلى شرف أصله، وإضافة (الفرع) ها هنا إلى (العلاء) كإضافة لفظ (السلالة) إلى (المجد) فالكلام فيهما واحد.

#### الدلالة اللغوية:

وقول الرضي: (وعلى أهل بيته مصابيح الظلم).

الأهل؛ هم آل الرجل، لقول أبي عبيدة (ت/ 210هـ): «أل فرعون: أهل بيته، وقومه، وأهل دينه، وملّته، وكذلك آل يعقوب، والدليل على أنّك إذا صغرت (الآل) قلت: أهيل»<sup>(192)</sup>.

فالآل: أهل البيت، ولكن من هم أهل البيت الذي خصّهم الرضي بالصلاة، وجعلهم مصابيح الظلم؟ اختلف الناس

<sup>187</sup> ( ينظر تفصيل ذلك في (أخبار مكة): 107 / 1، و(جمهرة النسب): 87 / 1.

<sup>188</sup> ( ينظر: أخبار مكة: 108 / 1.

<sup>189</sup> ( تهذيب سيرة ابن هشام: 223.

<sup>190</sup> ( البيت في (الصحاح): 254 (سنت)، ابن الزبير وفيه (عمرو العلاء)، وفي (الكامل): 252 / 1، وفيه (عمرو الذي)، وفي (الغرر والدرر): 269 / 2، وفيه (عمرو العلاء)، وفي (شرح التسهيل) لابن مالك: 360 / 3، باب المعطوف عطف النسق، وفيه (عمرو الذي)، وخرّجه عبدالسلام هارون في (معجم شواهد العربية): 238، وينظر: (جمهرة النسب): 1/92، فقد أشبع محققه البيت بحثاً.

<sup>191</sup> ( الخصال: 55، و(عيون أخبار الرضا): 2/17، و(تخريج الأحاديث والآثار): 3/177، و(فتح الباري): 12/334، و(مستدرک الوسائل): 16/98.

<sup>192</sup> ( مجاز القرآن: 44 / 1، وينظر: 302 / 1.

في المراد بأهل البيت في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (193). قال الجمهور: إن نساء النبي 9 هن المرادات بهذه الآية، مستدلين على ذلك بسياق الكلام، قبل الآية وبعدها، ولست بصدد الروايات الكثيرة التي نصت على أن أهل البيت: هم علي وفاطمة والحسان، غير أن لي وقفة قصيرة مع السياق لأضع دلالة (الأهل) في نص الرضي هذا.

أقول: قبل آية التطهير آية (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ... (الآية) (194). والحق أنني استقصيت ما وقع في يدي من المصاحف، فرأيت علامة وقف على لفظ (رسوله)، وهذا يعني أن ما بعده كلام لا يرتبط بما قبله، ثم تنتهي الآية إلى لفظ (تطهيراً). وتبدأ آية أخرى، تلك هي: (وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثَلَّى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) (195). ووجدت علامة وقف على لفظ (الحكمة)، فهل هذا يعني ارتباط قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) مع نساء النبي؟، فهو لطيف في تدبير خلقه، وهو يريد - سبحانه - بإرادته المطلقة أن يطهر (أهل البيت) بلطف تدبيره، وهذا لا يناسب ما قبل الآية «وقرن» ولا ما بعدها «وأقمن» ففيهما أمر منه، ثم قبل الآيتين قوله (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) (196)، وهذا تهديد وعقوبة، فكيف يلطف بهن إذن؟ وهو - سبحانه - يأمر بالقرار والقيام ويهدد ويتوعد بالعذاب ومضاعفته؟ وثمة أمر ثان: أن الخطاب، لو كان مع نساء النبي لقال - سبحانه - (يريد الله ليذهب عنكن الرجس)، ولم يقلها بل قال: عنكم، فهل يصعب على الخالق أمر كهذا؟ والأمر الثالث: أن الآية لم تنزل مع آيات النبي 9 بل نزلت وحدها (197). وقد روى الترمذي والبيهقي في (سننهما) (198)، والحاكم في (مستدرکه) (199) من طرق أم سلمة، قالت: في بيتي نزلت: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. (وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلبهم رسول الله بكساء عليه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وسئل الإمام الصادق - عليه السلام - عن الآل، قال: (آل محمد؛ أهل بيته خاصة، دون الناس، واحتج بقوله - تعالى -) (وَالْإِبْرَاهِيمَ وَالْإِسْمَاعِيلَ عَلِيَّ الْعَالَمِينَ) (200). وأرى أن تسمية (الأهل) الآل؛ لأن الرجل عليهم يُعَوَّل في أموره، فهم له بمنزلة أعواد الخيمة التي يُبنى عليها البيت، ولهذا استمرت الدعوة الإسلامية، وانتشر الدين الإسلامي الحنيف وبقِي وسبقِي، لوجود آل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - واستمر هذا الوجود في الأئمة من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام. قول الرضي: «عصم الأمم، ومنار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة». (العصمة) هنا: ما يُعْتَصَم به، ولما كان (المنار) المسرجة وهي: موضع النور، فصار المقصود من قول الرضي هنا أن (المنار): الأعلام واحدها منارة (201). و(المثاقيل) جمع مثقال على وزن (مفعال)، تقول: مثقال حبة، ومنه قوله تعالى: (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) (202). فعلى هذا يكون قول الرضي في (مثاقيل الفضل): زناته الثقيلة وقوله (وصلى الله عليهم أجمعين، صلاة تكون إزاء لفضلهم، ومكافأة لعملهم).

أقول: لما دعا الله - سبحانه - لهم بالصلاة، نبه على استحقاقهم لها آخذاً بنظر الاعتبار ثلاثة أمور.

أ - اعتبار فضائلهم النفسية كالعلوم والملكات الخلقية الفاضلة.

ب - اعتبار أعمالهم الظاهرة كالعبادات الدينية.

ج - اعتبار طيب أصولهم الزكية المطهرة وتفرد عنهم عنها. ومن هذه الأمور تُستحق الرحمة.

الدلالة البلاغية:

193 ( ) الأحزاب/ 33.

194 ( ) الأحزاب/ 33.

195 ( ) المصدر نفسه / 34.

196 ( ) م. ن. / 30.

197 ( ) ينظر: تفسير الجلالين: 557، و(تفسير القرآن الكريم): 423.

198 ( ) ينظر: سنن الترمذي و(السنن الكبرى): 5/30 - 31، و 2/150.

199 ( ) مستدرک الحاكم: 2/416، 3/146.

200 ( ) آل عمران/ 33.

201 ( ) ينظر: القاموس: 454 (نور).

202 ( ) الزلزلة/ 7.

في قول الرضي: (كونهم مصابيح): استعارة لهم يكتى بها عن كونهم مهتدي بهم من ظلمات الجهل كما يهتدي بالمصباح في الظلمة. وكونهم عصماً للأمم، أي: ما نعين لهم بسبب هدايتهم لهم إلى سلوك الصراط المستقيم عن التورط في أحد طرفي (الإفراط والتفريط) (203)، وكونهم (منار الدين الواضحة)، وقد عرفنا أن (المنار) محل الأنوار، فهي: أيضاً استعارة حسنة كما مر. وكونهم (مثاقيل الفضل الراجحة)، وهذه الإضافة إما بمعنى اللام: أي مثاقيل للفضل، أي: إذا اعتبر فضل غيرهم، ونسب بعضه إلى بعض؛ كانوا (مثاقيلاً راجحة)، لذلك الفضل بغير رجحان بعضه على بعض بالنسبة إليها، أو بمعنى من أي مثاقيل من الفضل متبوعة ترجح على غيرها. ولفظ (المثاقيل) ها هنا مستعار لهم أيضاً، ووجه المشابهة كونهم معياراً للخلق وموازن لهم كما أن المثقال كذلك. وقوله (مكافأة لعملهم)، لي وقفة - بتواضع شديد - مع قول الرضي هذا، إن أراد أن يجعله قرينة (لفضلهم) كان مستقبلاً عند علماء البديع، لأن الأولى ساكنة الأوسط (إزاء)، والأخرى متحركة الأوسط (مكافأة)، فأفضل السجع وأحسنه ما تساوت قرائنه (204). وأما من لا يقصد (البديع) كالكلام القديم، فليس بمستقبح، وإن لم يُرد أن يجعلها قرينة، بل جعلها من حشو السجعة الثانية، وجعل القرينة (وأصلهم)، فهو جائز، إلا أن السجعة الثانية تطول كثيراً (205). ولو قال عوض (لعملهم)؛ (لفضلهم) لكان حسناً.

### الدلالة اللغوية:

وقول الرضي: (إني كنت في عنفوان شبابي... مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي). لم يقل الرضي (فإني) - في النسخة التي اعتمدها - وقد بدأ ب(أما) الشرطية وهذا يجري مجرى قوله تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (206). لَمَّا صَدَّرَ الخُطْبَةَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ شَرَعَ فِي الدَّوَاعِي الَّتِي حَمَلْتَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَفِي مَدْحِ كَلَامِ الْإِمَامِ، ثُمَّ ذَكَرَ فِي تِلْكَ الدَّوَاعِي وَالْأَسْبَابِ أُمُوراً مِنْهَا:

أ - أن هذا المجموع من الكلام جزء من كل كلامه - عليه السلام - وذلك في قوله: (أن ابتدئ بتأليف كلام يحتوي على مختار كلام أمير المؤمنين، وهذا أمر ظاهر في خطبته ثم يقول: (كنت في أول السن وطراوته ابتدأت بتأليف كتاب يخص الأئمة). ويذكر أن مماطلات الأيام ومحاجزاتها عاقت عن إتمام بقية الكتاب. فنسب (المنع) للأيام عن العمل وهو يمانعها منعها له، ونسب المماثلة للزمان لاغتراره بطوله، فيأمل بإنجاز العمل فيخلف، فكأنه؛ هو لطول أمه بعد الزمان بوقوع العمل فيه فيخلف، وقوله (معجبين) و(متعجبين) منصوبان على الحال، و(العجب) بالشيء سبب للتعجب. فسألوه الأصدقاء أن يبتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام الإمام في جميع أساليبه وفنونه المختلفة. وفي قوله: (علماً أن ذلك يتضمّن من عجائب البلاغة..). ف(علماً) منصوب على المفعول له، أو على أنه مصدر سدّ مسدّ الحال، أي: (عالمين)، والعامل فيه قوله: (سألوني)، وأن الذي جمعه يتضمّن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية النافذ منها للدين والدنيا معاً؛ لأن الإمام مشرّع الفصاحة، وعنه أخذت قوانينها؛ لأن كلامه (عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي). خصّ الرضي الكلام الإلهي بالمسحة والكلام النبوي بالعبقة؛ لأن كلام الإمام شديد الشبه بكلام الرسول 9 فهو كالجُزء منه لأنهما غصنا دوحه وفرعا أرومة؛ لأن معنى (عبق الشيء بالشيء لزومه له والتصاقه به) (207)، صار لشدة اتصاله به كالجُزء منه، فقال: (عبقة من الكلام النبوي)، ولما كان معنى (المسحة): الأثر (208) من الشيء في الشيء، وجب لزومه له وشدة المشابهة به، وكان كلام الباري - سبحانه - بعيد الشبه بكلام الخلق، لا جرم خصّه ب (المسحة) من دون (العبقة).

### الدلالة البلاغية:

قوله: (جواهر العربية، ويواقيت الكلم الدينية والدينيوية)، استعارتان لطيفتان لهذين اللفظين من الحجرين المخصوصين - الياقوت والجواهر - للمعنيين اللذين هما: فصاحة الألفاظ العربية والحكمة الفاضلة التي يشتمل عليها كلامه - عليه السلام - ووجه المشابهة؛ هو ما اشتركا فيه من العزة والنفاسة، كل بالنسبة إلى جنسه، فعزة الحجرين وندرتهما بالنسبة إلى مطلق الأحجار، وعزة الألفاظ الفصيحة والحكمة البالغة وندرتهما إلى سائر

(203) ( فلسفتنا: 52.

(204) ( ينظر: مفتاح العلوم: 203 - 204.

(205) ( ينظر: الإيضاح: 2/ 548، و(جواهر البلاغة): 404.

(206) ( آل عمران/ 106.

(207) ( ينظر: القاموس: 835 (عبق).

(208) ( ينظر: المصدر نفسه: 234 (مسح).

الألفاظ والمعاني المعقولة. وكونه - عليه السلام - (مشرعاً للفصاحة ومورداً لها): استعارة أيضاً لهذين اللفظين اللذين هما: حقيقة في (النهر) و(العين) ونحوهما له - عليه السلام - ووجه المشابهة؛ أنّ الشريعة من الماء كما يردّها العطشى للتروي والاستقاء، كذلك هو - عليه السلام - مرجع للخلق في إفادتهم للفصاحة، ولو قال: (مصدرها وموردها) لكان أبلغ. إذ؛ كان (المشرع) و(المورد) مترادفان، أو قريبين من الترادف، وكذلك قوله: (منشأ البلاغة ومولدها)، استعارة أيضاً تشبيهاً لذهنه - عليه السلام - بالألم، وتشبيهاً للفصاحة بالولد في الصدور عنه. وقوله: (لأن كلامه - عليه السلام - الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي). قدّر العلم الإلهي كلّهُ حسناً وجمالاً، حتى جعل في كلامه - عليه السلام - أثراً منه، وقدّر الكلام النبوي طيباً، كالمسك الأذفر حتى جعل كلامه - عليه السلام - عبقة منه، فلزم ذلك تخيل حاستي البصر والشمّ للعقل ليذكر بالأولى (المسحة) من العلم الإلهي، وبالثنائية (العبقة) من الكلام النبوي، وهي: استعارة على طريق الكناية، فكنتى بـ (المسحة) عمّا أدركه العقل في كلامه من الحكمة المشار إليها في القرآن الكريم والفصاحة، وكنتى عمّا أدركه من الأسلوب والطريقة الموجودة فيه مع الفصاحة والحكمة في الكلام النبوي، فكان العقل يبصر ويسمع بقوته أثر العلم الإلهي فيه، ويُشمّ رائحة الكلام النبوي منه.

### الدلالة اللغوية:

قال الرضي: «فأجبتهم إلى الابتداء..... المجامع» يقول الرضي: أجبت الذين طلبوا مني كلاماً فصيحاً وبلغياً مما قال الإمام: وأنا عالم ما في ذلك من عظيم النفع، ومنثور الذكر، ومذخور الأجر، والثواب؛ لأنّ فيه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتذكير بأيام الله، لئلاً ينزلق المرء عن جادة الصواب، وأراد أنّ يوضّح عظيم قدر الإمام في انتقاء المفردات ونظمها لتشكل عقداً، زيادة إلى المحاسن الكثيرة المخفية، والفضائل الجمّة؛ لأنّه - عليه السلام - انفرد ببلوغ منتهاها من جميع السلف الذين تقدّموا الإمام، فحكي ونُقل عنهم القليل النادر في وجوده حتى عدّ شأداً. ثم يشرع الرضي بتفصيل هذه الفضائل ووصفها، فيقول: (أمّا كلامه فهو البحر الذي لا يساجل) أي: لا يغلبه أحد، فهو سابق في المضمار، و(لا يحافل) أي: ليس في كلام غيره مجمع للفضائل يقابل كلامه، ثم ساغ له التمثّل في الافتخار به - عليه السلام - بقول: الفرزدق:

أولئك آبائي فجنني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع

فآباء الرضي؛ الأئمة الهداة، وجدّه أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب - عليه السلام. فهو: السيد أبو الحسن، وأبو عدنان، محمد بن الطاهر ذي المنقبين، أبي أحمد، الحسين بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، السّجاد، بن أبي عبد الله الحسين السّبط الشهيد بن أبي الحسين علي المرتضى بن أبي طالب، عبد مناف بن عبد المطلب شيبه الحمد، وسيد البطحاء ابن هاشم الثريد عمرو<sup>(209)</sup>. والقول الذي تمثّل به الرضي من (النقائض) بين جرير والفرزدق.

ومن أبيات الفرزدق في هذه القصيدة:

«ومنا الذي اختير الرجال سماًحةً وجوداً إذا هبّ الرياح  
الزعاغ»<sup>(210)</sup>

ومن نقيضه لقصيدة جرير التي أولها:

«ذكرتُ وصال البيض والشّيب شائعٌ ودارُ الصّبا من عهدنّ بلاقع»<sup>(211)</sup>

### الدلالة البلاغية:

قوله: (فهو البحر الذي لا يساجل)، أستعار لفظ (البحر) لكلامه - عليه السلام - وذكر وجه المشابهة بقوله: (لا

<sup>209</sup> ( ) ينظر: البيهقي: 131 / 3، و(تاريخ بغداد): 246 / 2، و(الدمية): 288 / 1 و...

<sup>210</sup> ( ) البيهقي في (النقائض): 685 - 705.

<sup>211</sup> ( ) المصدر نفسه.

يساجل)، فإنّ المساجلة لما كانت هي المبالغة في السقي، والجري، وكان كلامه - عليه السلام - أكثر جرياً في كلام البلاء من غيره، وكانت أوعية أذهانهم قد امتلأت من فيضه، لا جرم أشبه البحر الذي لا يغلبه بحر آخر في سقي، ولا جري، أي: لا يُقاوم في فصاحة ولا في حكمة. وكذلك قوله (لا يحافل) استعار لفظ (المحافلة) التي هي: وصف من أوصاف الإنسان لكلامه تشبيهاً بالرجل ذي المحفل الجَمّ والجماعة الكثيرة التي لا يمكن أن يُكاثَر بمثلها. وقوله: (يسوغ لي التمثل)؛ مجاز في الإسناد؛ فإنّ (السوغ) حقيقة في (الشراب) فإسناده إلى (التمثل) مجاز، ووجه العلاقة: أنّ التمثيل بما يزيد، إذا حسن بين الناس وصار، كان ذلك لذيذاً عنده، فأشبهه في لذائذه وجريانه بين الناس، الماء الزلال في لذائذه، وسهولة جريانه في الخلق، فحسن إسناد لفظ (السوغ) إليه.

### m الدلالة اللغوية:

قال الرضي: «ورأيت كلامه..... والنسق».

قال: رأيت كلامه يدور على أقطاب ثلاثة: الأصل في (القطب): المسار الذي عليه تدور الرحي، ثم استعمل في كل أصل ينتهي إليه ويرجع، فقيل: قطب القوم لسيدهم، لكونه عليه مدار أمورهم، وقطبا الفلك نهايتي محوره، وهو الخط الذي يتوهم ماراً بمركز الفلك منتهياً في الجهتين إلى طرفيه وعليه يدور، أو لأقسام الكلام التي تدخل أجزاءه تحتها، وتدور عليه، وهذا ما عناه الرضي. و(الخطبة): أعمّ من الوعظ، والوعظ؛ التخويف، ويختصّ في العرف بالتذكير بأيام الله وأمر الآخرة، وعذاب النار ونحوه. (والرسالة): أعمّ من الكتاب لجواز إتيانها مشافهة من دون كتابة، (الصنف) و(النوع) في اللغة واحد، وإن كان بينهما فرق في عرف آخر<sup>(212)</sup>. و(الأحناء): عنى بها الرضي هنا: الوجوه والمقاصد. و(أشدّ ملامحة لغرضه)، يعني هنا؛ أشدّها إبصاراً له، ونظراً إليه. و(ينطف): يقطر<sup>(213)</sup>، و(مهجاً): جمع مهجة، وهي: الدم، ويقال: هي دم القلب خاصة، والمهجة: الروح أيضاً<sup>(214)</sup>. وقوله: «ومن عجائبه التي انفرد بها... مهجاً» يقول الرضي إن كلام الإمام في الزهد والابتعاد عن الدنيا وملذاتها؛ إذا تأمله المتأمل، ونزع من قلبه أنّه كلام مثله، ممن عظم قدره ونفذ أمره وملك الأرض، فإنّ هذا الكلام ليس بكلام رجل بهذه الحال، وإنما قد (قبع في كسر بيت وانقطع إلى سفح جبل)، وهذا من شعار الزهاد والمعرضين عن الدنيا. والضميران في قوله (يسمع) و(حسّه) عائدان إلى (من) أي: (لا يسمع) هو إلا حسّ نفسه. و(دماً) و(مهجاً) منصوبان لأنهما تمييز.

### الدلالة البلاغية:

في قوله: (أشدّ ملامحة لغرضه)؛ استعارة، يُقال: هذا الكلام يلمح الكلام الفلاني، أي: يشابهه، كأن ذلك الكلام يلمح، ويُبصر من هذا الكلام، وإذا كان معنى (اللمعة): جماعة كرام من الناس، سميت الكلمات الفصيحة (لمعاً) بذلك تشبيهاً. وهذه استعارة، ووجه الشبه، هو: كما أنّ هناك كراماً من الناس، فإنّ هناك كراماً من الألفاظ، وكما أنّ هناك ناساً غير كرام، فكذلك هناك ألفاظ غير جيدة، فهو بذلك ينتقي لمع الألفاظ. وإذا كان معنى (اللمعة) قطعة من النبات إذا أخذت في اليبس عند الكمال، فعلى هذا سميت الكلمات الكاملة الفصاحة والبلاغة لمعاً كذلك، وهذه استعارة أيضاً، فهي كما يكون الكمال للنبات يكون للكلمة الكاملة المعنى، إذا بلغت غايتها من الوصول - بالبلاغة - والفصاحة. وإذا كان معنى (اللمعة)؛ موضع لا يصيبه الماء في الغسل والوضوء، تكون هنا استعارة بعيدة، كأنّ الرضي يقول: هذه كلمات لا تصيبها الأعراض والنقصان والخطأ، كما لا يصيب الماء في الغسل والوضوء ذلك الموضع. وقوله: (ينغمس في الحرب مصلاً) استعارة حسنة في النسبة، أي: في نسبة الانغماس إلى الحرب، فإنّ (الانغماس) حقيقة في دخول الماء، وما في معناه، إلا أنّ الحرب لما كانت في غمارها، واختلاط المتحاربين فيها، تشبه الماء المتراكم، صحّت نسبة (الانغماس)، إليها، كما صحّت إليه، فيقال: انغمس في الحرب وخاض فيها ونحو ذلك. وقوله (يقطر مهجاً)، إن فسّرنا (المهجة) بالدم، كانت نسبة (القطر) إليها حقيقة، وإن فسّرناها ب(الروح) كانت مجازاً، تشبيهاً لـ (لروح) بالمائعات والسوائل الخارجة من الإنسان كالدم ونحوه.

### الدلالة اللغوية:

قال الرضي: «وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد..... وهو حسبي ونعم الوكيل». (الزهد) هو الاعراض عن ملذات الحياة وهذا ما عناه الرضي، و(الأبدال): قوم بهم يُقيم الله - عز وجل - الأرض، وهم سبعون، أربعون في الشام، وثلاثون في غيرها، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس<sup>(215)</sup>، وعند الصوفية: هم

<sup>212</sup> ( ينظر: كل كتب الفلسفة ولا سيما كتب الصوفية والمعتزلة.

<sup>213</sup> ( ينظر: القاموس: 791 (نطف).

<sup>214</sup> ( ينظر: المصدر نفسه: 201 (مهج).

<sup>215</sup> ( ينظر: الصحاح: 1632، و(جمرة اللغة): 300، و(القاموس): 888 (بدل).

الزهّاد<sup>(216)</sup>، وقد ورد ذلك في كتب الحديث<sup>(217)</sup>. وفي حديث الإمام علي - عليه السلام - : «الأبدال بالشام والنجباء بمصر، والعصائب بالعراق، يجتمعون، فتكون بينهم حرب»<sup>(218)</sup>.

وقول الرضي: (جمع بها بين الأضداد، وألف بين الأشتات).

والحق أنّ الإمام علياً - عليه السلام - كان ذا أخلاق متضادة. فأما الشجاعة فقد أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، والمعلوم أنّ أهل الشجاعة والإقدام، والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية، وفتك وتمرد، والمعروف على أهل الزهد، ورفض الدنيا، وهجران ملاذها، والاشتغال بمواعظ الناس، وتخويفهم المعاد، وتذكيرهم الموت، أن يكون ذوي رقة ولين، وضعف قلب، وهاتان حالتان متضادتان - الزهد والشجاعة - وقد اجتمعتا له عليه السلام<sup>(219)</sup>. وكذلك أنّ ذوي الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق سبعية، وطباع حوشية، وغرائز وحشية، في حين الغالب على أهل الزهادة، وأرباب الوعظ والتذكير، ورفض الدنيا أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق، وعبوس في الوجوه، والنفار من الناس، واستيحاش، وأمير المؤمنين - عليه السلام - كان أشبع الناس وأعظمهم إراقة للدم - في سبيل الله - وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأيام الله ومثلاته<sup>(220)</sup>، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة وأدأباً لنفسه في المعاملة، ومع هذا كان ألطف العالم أخلاقاً وأسفرهم وجهاً، وأوفاهم هشاشة، وأبعدهم عن انقباض موحش، أو خلُق نافر، أو غلظة وفضاظة تنفر معها النفس حتى عيب عليه بالدعابة، وقد قال - عليه السلام - : «عجباً لابن النابغة، يزعم لأهل الشام أن في دعابة... لقد قال باطلاً، ونطق أثماً، وشرّ القول الكذب...»<sup>(221)</sup>. ومن صفاته أيضاً العفو عند المقدرة، غير أنّ الغالب على ذوي الشجاعة، وقتل النفس، أن يكونوا قليلي الصبح، بعيدي العفو، لأنّ أكبادهم واغرة، وقلوبهم ملتهبة، وقد علمنا حال الإمام في كثرة إراقة الدم - تثبتاً للدين - وما عنده من الحلم والصفح، ومغالبة هوى النفس، فرأينا فعله يوم الجمل<sup>(222)</sup>، وقد أحسن مهيار في قوله:

«حتى إذا دارت رحي بغيهم  
عادوا بعفو ماجد معود  
فنجت البقيا عليهم من نجا  
أطت بهم أرحامهم فلم يطع

عليهم وسبق السيف العذل  
للعفو حمال لهم على العذل  
وأكل الحديد منهم من أكل  
ثائرة الغيظ ولم يشف الغل»<sup>(223)</sup>

فهذا ما عناه الرضي بـ«الأضداد».

وقوله: (وقد استخرج عجبهم) أي: تعجبهم منها، من القوة إلى الفعل، ومن روى (عجبهم) بضم العين، فالمراد هنا: أي أذاكرهم بهذه الفضيلة، لتظهر محبتهم لها وميلهم إليها. ويمكن أن يكون القول: (واستخرج عجبهم) أي: أعرفهم أنهم عاجزون عن أمثالها، فلا يبقى حينئذ عجب بأنفسهم منها من أجل معرفتها.

وقوله: (روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً). ربّما كان الاختلاف بسبب أنه ذكر معنى واحداً، غير مرّة بألفاظ مختلفة، كما يفعله البلغاء، والفصحاء، أو لأن بعض من سمع كلامه على المنبر، أو في المحاوراة، لم يقدر على حفظه، ومراعاة ترتيبيه؛ لأن حفظ كلام خطيب، أو محاور على الولاة صورة ومعنى - من غير تكرار - أمر متعذر، وقد يوجد من أعطى الله له قوّة حافظه يضبط ويحرز ما سمع، فمن جاء بكلام الإمام كما قاله، بلا تفاوت من طريق اللفظ والمعنى، كان ممن أيده الله بهذه القوّة التي ذكرناها.

وقوله: (وعلى الله نهج السبيل): أي عليه - عز وجل - تسديد عملي، أي: إبانته وإيضاحه. (البعية) هنا: الحاجة: وقوله (بلال كلّ غلة) أراد: أنّ ما جمعه من كلام الإمام، رواء لكلّ عطشان وظامئ.

<sup>216</sup> ( ) ينظر: فلسفتنا: 198.

<sup>217</sup> ( ) ينظر: عصر الظهور: 199.

<sup>218</sup> ( ) ينظر: مسند أحمد: 6/ 316، و(سنن أبي داود): 4/ 107، ح 286، و(الفردوس بمأثور الخطاب): 5/ 523 ح 8963،

و(مجمع الزوائد): 8/ 6، و(الدر المنثور): 4/ 250.

<sup>219</sup> ( ) ينظر: تفصيل ذلك في (حلية الأولياء): 1/ 81.

<sup>220</sup> ( ) ينظر: كتاب (نهج البلاغة)، فإنّه خير شاهد على ذلك.

<sup>221</sup> ( ) نهج البلاغة لصبيح الصالح: 110.

<sup>222</sup> ( ) ينظر: الجمل: 178.

<sup>223</sup> ( ) ديوانه: 3/ 109 - 116. قصيدة يذكر فيها أخلاق الإمام، وما مُني به من أعدائه.

وقوله: (أستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان).

استعاذ الرضي من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان، وهذا حق؛ لأن خطأ الجنان أعظم وأفحش من خطأ اللسان، فاعتقاد الكفر بالقلب أعظم عقاباً من أن يكفر الإنسان بلسانه، وهو غير معتقد للكفر بقلبه<sup>(224)</sup>. واستعاذ أيضاً من زلّة الكلم قبل زلّة القدم بقوله: (ومن زلّة الكلم قبل زلّة القدم). وهنا أراد زلّة القدم الحقيقية، وفي المثل: «مَنْ عَثَرَ بِقَدَمِهِ نَهَضَ، وَمَنْ عَثَرَ بِلسَانِهِ هَوَى»<sup>(225)</sup>. لا ريب في أن زلّة القدم أهون وأسهل؛ لأن العاثر يستقل من عثرته، وذا الزلّة تجده ينهض من صرعه، وأمّا الزلّة باللسان، فقد لا تُستقال عثرتها، ولا ينهض صريعها، وطالما كانت لا براء منها، ومن لطيف ما قيل في هذا قول أبي تمام:

«يا عثرة ما وُقِيتمَ شَرَّ مَصْرَعِهَا      وزلّة الرأي تُنسي زلّة القدم»<sup>(226)</sup>

أقول: لا بدّ من مشاورّة العقل قبل النطق بالكلام، ولهذا قال: الإمام علي - عليه السلام - «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه»<sup>(227)</sup>، وهذا من المعاني العجيبة الشريفة؛ والمراد: أنّ العاقل لا يطلق لسانه، إلاّ بعد مشاورّة الروية، ومؤامرة الفكرة، والأحمق - جلّ قدر القارئ الكريم - تسبق حذفات لسانه، وقلّات كلامه مراجعة فكره، ومماخضة رأيه، فكأنّ لسان العاقل تابع لقلبه، وكأنّ قلب الأحمق تابع للسانه. ولهذا قال - عليه السلام - «اللسان سُبُعٌ، وإنْ خُلِّيَ عنه عَقَرَ»<sup>(228)</sup>.

وقول الرضي (ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بـ (نهج البلاغة)..).

سمّاه (نهج البلاغة) دون (منهج البلاغة)، أو (منهاج البلاغة) لوجهين:

الأول: أنّ الأصل هو (النهج) و(النهج): طريق واضح يسلكه سالك يؤدي به إلى الخير، يُقال: نهج الرّشاد، ونهج النجاة، و(المنهج) أعمّ من (النهج).

والثاني: أنّ (النهج) ما لا ينقطع وضوحه، وهو مأخوذ من (النهج) وهو: تتابع النفس<sup>(229)</sup>، يُقال: فلان ينهج في النَّفسِ. فكأنه يقول: تتابع البلاغة في هذا الكتاب كما يتتابع النَّفسُ، فهو أعمّ في الاستمرار.

(والبلاغة) من (البلاغ): وهو الوصول إلى الشيء<sup>(230)</sup>، وسميت الفصاحة بلاغة؛ لأنّ بها يبلغ صاحبها إلى ما يريد من نفس السامع<sup>(231)</sup>. ويجوز أن تكون - البلاغة - بمعنى: أنّ هذا الكلام بلغ مبلغاً في الكمال، كبلوغ الإنسان وغيره، ولهذا يُقال للإمام علي - عليه السلام - «بَلَّغْتَ مِنَّا الْبَلَّغِينَ»<sup>(232)</sup> لأنّها بلغت كلّ مبلغ من الإنسان.

وعلى هذا فإنّ معنى قول الرضي - نهج البلاغة - طريق واضح في الفصاحة والبلاغة لا ينقطع وضوحه، وإبانته، ويبلغ سالكه به ما يريد من هذين الفنين.

#### الدلالة البلاغية:

قوله: (عقائل الكلام): أي: كرائمه، وما عقلت أخواتها مع الكلمات، أن يبلغن درجاتها في الفصاحة، وهذا تشبيه.

قوله: (نهج البلاغة) استعارة لطيفة لهذا الكتاب، لأنّ (النهج) حقيقة في الطريق الواضحة المحسوسة، ووجه المشابهة: أن الطريق لما كانت محلّ الانتقال بالمشي وقطع المسافات المحسوسة من واحد إلى آخر، كذلك الذهن ينتقل في هذا الكتاب من بعض لطائف البلاغة وشعب الفصاحة إلى بعضها الآخر انتقالاً سهلاً، فلذلك صحّ نقل لفظ (النهج) إليه، واستعارته له فهذا بيان ما عساه أن تشكل دلالاته المفردة في المورد الأول، وإيضاحها في الجملة أو في النصّ من دلالات جديدة مكتسبة غير ما وضعت له في الأصل في المورد الثاني.

<sup>224</sup> ( ) ينظر: تفصيل ذلك في: (الأنوار النعمانية): 3 / 167 - 169، و(العروة الوثقى): 3 / 27، و(جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام): 16 / 223 - 226.

<sup>225</sup> ( ) رياض الأمثال: 1 / 211.

<sup>226</sup> ( ) ديوانه: 3 / 194.

<sup>227</sup> ( ) نهج البلاغة لصبحي الصالح: 476.

<sup>228</sup> ( ) المصدر نفسه: 478.

<sup>229</sup> ( ) ينظر: القاموس: 203 (نهج).

<sup>230</sup> ( ) ينظر: المصدر نفسه: 23 (نهج).

<sup>231</sup> ( ) ينظر: الإيضاح: 1 / 72.

<sup>232</sup> ( ) القاموس: 720 (بلغ).

والحمد لله رب العالمين..

الخاتمة:

- 1 - دلالة الجملة، إمّا دلالة لغوية وإمّا دلالة بلاغية، ولا دلالة كلية للكلمة من دون نص.
- 2 - الكلمة كلما كثر دورانها في الكلام وألف استعمالها كانت أكثر عرضة من غيرها للتغيير، فإذا وردت في نصوص مختلفة أوحى لها بخلق معانٍ جديدة.
- 3 - الكلمات المفردة تكتسب معنى مؤقتاً بتأثير دلالة الجملة، أو النص وهما يفرضان عليها خاصية متميزة في الاستعمال.
- 4 - إن الحالة التي يكون عليها اللفظ في دلالاته مقترناً بدلالة الجملة، هي دلالة استعمالية، ولا علاقة لها بالدلالة الأصلية، أي: الدلالة المعجمية.
- 5 - علاقة الدال والمدلول علاقة اعتبارية غير مقصودة ولا صحيحة، فهي لا ترتبط بدافع لأنها ليست لها صلة طبيعية بالمدلول.
- 6 - الرسائل اللغوية، تعدّ مصادر المعجم العربي، وتبعاً لطريقة هذه الرسائل وترتيبها، عُيّنت أغلب المعجمات اللغوية، إن لم تكن كلها بالألفاظ أكثر من عنايتها بدلالة الجملة أو النص.
- 7 - شجاعة الإمام علي - عليه السلام - كانت من جملة زهادته، فإنّه كان قليل الرغبة في الدنيا والبقاء فيها، وذلك دأب أولياء الله، والعارف زاهد شجاع، ومن عرف الله حق معرفته لم يخل من شجاعة وزهد.
- 8 - الشجاعة والزهد، ليسا من الأضداد، بل يجب لكل عارف موحد أن يكون شجاعاً زاهداً، خصوصاً إذا كان هذا الزاهد والشجاع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام -.
- 9 - سبب اختلاف روايات (النهج) وقع عندي لأمرين:  
الأول: انه - عليه السلام - ربّما تكلم بالمعنى الواحد مرتين، أو أكثر بألفاظ مختلفة كما هو شأن البلغاء، وأهل الفصاحة، فينقله السامعون باللفظ الأول.
- الثاني: لا يحرز الراوي الخطبة تماماً، لفظاً ومعنى، وهذا يدين الناس في الصدر الأول، فقد كانوا يحفظون على الولاة، فلا يراعون ترتيب الكلام، فتقع زيادة أو نقصان، وربّما راعى بعضهم حفظ المعنى من دون ضبط اللفظ.
- 10 - كان جلّ قصد الرضي من جمع كتاب (نهج البلاغة) أن يظهر صفاء عقيدة الإمام وتوجيهه التربوي والأخلاقي الأصيل عبر فنيّ الفصاحة والبلاغة وترك ما لم يكن فيهما من غير ذلك.
- 11 - لم يعتن العلماء بخطبة الرضي بوصفها مقدمة لكتاب (نهج البلاغة) عنايتهم بـ(النهج)، لأنهم أمام نصّ غاية في الفصاحة والبلاغة، وهو ليس في متناول كل من هبّ ودبّ.

المصادر والمراجع:

أ - المخطوط:

- القرآن الكريم.
- مخطوط (نهج البلاغة)، كانت في المدرسة الفاضلية في (مشهد) وانتقلت بعد خرابها إلى المكتبة الرضوية الكائنة في أبنية ضريح الإمام الرضا عليه السلام برقم 2052 بمقياس 25 / 7 سم طول و 17 / 5 سم عرض، وذكر في فهرس المكتبة الرضوية: 171 / 5.

ب - المطبوع:

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد الأزرق محمد بن عبد الله بن أحمد (ت/ 250هـ)، تحقيق: رشدي الصالح، مكة، 1965م.
- أدب الكاتب، لابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت/ 276هـ)، مصر، 1341هـ.
- الإرشاد، للشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت/ 413هـ)، لبنان، 1399هـ.
- أساس البلاغة للزمخشري، محمود بن عمر (ت/ 538هـ)، بيروت 1979م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، علي بن محمد (ت/ 630هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، القاهرة، 1970.
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، للملا علي القاري، علي بن محمد بن سلطان (ت/ 1014هـ)، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، بيروت، 1406هـ.

- الأنوار النعمانية، نعمة الله الجزائري (ت/ 1112هـ)، إيران، د.ت.
- الإيضاح في علوم البلاغة، للقرويني، محمد بن عبد الرحمن، (ت/ 739هـ)، شرح وتعليق: محمد عبدالمعظم خفاجي، لبنان، 1980م.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (ت/ 463هـ) القاهرة، 1931م.
- تخريج الأحاديث والآثار، للزيلعي (ت/ 762هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الرياض، 1414هـ.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك، محمد جمال الدين، (ت/ 672هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، مصر، 1968م.
- تطور البحث الدلالي، للدكتور محمد حسين الصغير، بغداد، 1988م.
- التطور اللغوي التاريخي، للدكتور إبراهيم السامرائي، بيروت، 1981م.
- تفسير الجلالين، للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت/ 911هـ)، مصر، د.ت.
- تفسير الطبري (جامع البيان) للطبري، محمد بن جرير (ت/ 310هـ)، مصر، 1954م.
- تفسير القرآن الكريم، لابن شبر، عبد الله (ت/ 1242هـ)، دمشق/ 1999م.
- التفسير الكبير، للرازي (ت/ 606هـ)، مصر د.ت.
- تهذيب التهذيب/ لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت/ 852هـ)، الهند، 1915م.
- تهذيب سيرة ابن هشام، لعبد السلام هارون، بيروت، 1374هـ.
- تهذيب اللغة، للأزهري، محمد بن أحمد، (ت/ 370هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم، القاهرة، د.ت.
- جامع السعادات، للنراقي، محمد مهدي، تحقيق: السيد محمد كلنتر، النجف الأشرف، د.ت.
- الجمل، للشيخ المفيد، طبع في النجف الأشرف، 1368هـ.
- جمهرة اللغة، لابن دريد، محمد بن الحسن (ت/ 321هـ)، الهند، 1345هـ.
- جمهرة النسب، للكليبي، هشام بن محمد الكليبي، (ت/ 204هـ)، الكويت، 1403هـ.
- جواهر البلاغة، للهاشمي، أحمد، بيروت، د.ت.
- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، للنجفي، محمد حسن، (ت/ 1366هـ)، النجف الأشرف، 1385هـ.
- الجيم، للشيباني، إسحاق بن مرار، (ت/ 213هـ)، الجزء الثالث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، القاهرة، 1975م.
- حاشية الخصري على شرح ابن عقيل، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، د.ت.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني، للصبان محمد بن علي، (ت/ 1206هـ) القاهرة، د.ت.
- حلية الأولياء في طبقات الأصفياء، لابن نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، (ت/ 430هـ) مصر، 1933م.
- الخرائج والجرائح، لقطب الدين الراوندي، (ت/ 573هـ)، قم، 1409هـ.
- الدر المنثور في تفسير المأثور، للسيوطي، بيروت، 1403هـ.
- دلالة الألفاظ، للدكتور: إبراهيم أنيس، بغداد، 1961م.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، للباخرزي، علي بن الحسين، (ت/ 467هـ) تحقيق: د. سامي مكي العاني، النجف الأشرف، 1971م.
- ديوان أبي تمام، قدم له، عبد الحميد يونس، وعبد الفتاح مصطفى، مصر، 1951م.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف، دار صادر، بيروت، 1399هـ.
- ديوان ذي الرمة، تصحيح، كاريل هنري، مطبعة كلية كمبرج، 1919م.
- ديوان مهيار الديلمي، طبع دار الكتب المصرية، 1945م.
- ديوان النابغة الجعدي، جمع الدكتور واضح الصمد، بيروت، 1998م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مصر، سلسلة ذخائر العرب، رقم 52، الطبعة الثانية.
- رياض الأمثال في الكتاب والسنة والأدب، للدكتور محمد تقي مشكور، تحقيق: صادق جعفر الروازق، طهران، 2007.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، (ت/ 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت/ 297هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار إحياء التراث، د.ت.
- سنن الدارمي، للدارمي، عبد الله بن بهرام (ت/ 255هـ)، القاهرة، 1398هـ.
- السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت/ 458هـ) بيروت، لبنان، د.ت.
- شذا العرف في فن الصرف لأحمد الحملاوي، 1953م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (1 - 2) لابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن (ت/ 769هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1971م.
- شرح ابن عقيل، لعبد الله العقيلي، (ت/ 769هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، 1964م.
- شرح التسهيل، لابن مالك، محمد بن عبد الله، (ت/ 672هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي، هجر للطباعة والنشر، 1410هـ.
- شرح الشافية، لرضي الدين الاستربادي، (ت/ 688هـ)، تحقيق: محمد نور محمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، 1356هـ.
- شرح شنور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف (ت/ 761هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طهران، 1384هـ.
- شرح عصري جامع لنهج البلاغة، للشيرازي، ناصر مكارم، اعداد: عبد الرحيم الحمراني، إيران، 1426هـ.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، 1963م.

- شرح كافية ابن الحاجب (1 - 2)؛ الاستربادي، رضي الدين، الاستانة، 1310هـ.
- شرح المفصل، لابن يعيش، مصر، المطبعة المنيرية، د. ت.
- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، عبد الحميد بن محمد المعتزلي، (ت/ 656هـ)، بيروت، د. ت.
- شرح نهج البلاغة، لمحمد عبده، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.
- شرح نهج البلاغة، لميثم البحراني، (ت/ 679هـ) إيران، 1427هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت/ 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، 1956م.
- العروة الوثقى، للطباطبائي، السيد كاظم اليزدي المستنبط، تعليق: نصر الله الموسوي، النجف الأشرف، 1981م.
- عصر الظهور، للشيخ علي الكوراني العاملي، إيران، قم، 1424هـ.
- العين، للفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت/ 175هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، الكويت، 1981م.
- عيون أخبار الرضا، للصدوق، محمد بن علي، (ت/ 381هـ)، قم، 1381هـ.
- غريب الحديث، لابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت/ 597هـ)، توثيق وتخريج وتعليق، د. عبدالمعطي أمين، بيروت، 1985.
- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، تحقيق علي محمد الجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، 1945م.
- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، لبنان، د. ت.
- الفردوس بمأثور الخطاب، للهمداني، شيرويه بن شهردار (ت/ 509)، بيروت، 1406هـ.
- فلسفتنا، للصدر، محمد باقر، المستشهد في (1980م)، بيروت، 1988م.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، 2001هـ.
- الكافية، للرضي الاستربادي، طبع على الحجر، طهران، د. ت.
- الكامل في ضعفاء الرجال، للجرجاني، (ت/ 365هـ)، بيروت، 1405هـ.
- الكتاب، لسيبويه، عمرو بن عثمان، (ت/ 180هـ)، بولاق، القاهرة، 1316هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم، (ت/ 711هـ)، بيروت، 1374هـ.
- اللغة والفكر، (بحث) للدكتور بسام بركة، نشر في (الفكر العربي المعاصر) في آذار، 1982م.
- اللغة والمعنى والسياق، لجون لابنز، ترجمة: عباس صادق، بغداد، 1987م.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة، معمر بن المثنى (ت/ 210هـ) تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مصر، 1970م.
- مجمع البحرين للطريحي، فخرالدين بن محمد علي، (ت/ 1085هـ) تحقيق: أحمد الحسيني، النجف الأشرف، 1961م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيتمي، علي بن أبي بكر (ت/ 807هـ)، إيران، د. ت.
- مجمل اللغة، لابن فارس، أحمد بن فارس (ت/ 395)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، 1406هـ.
- مختار الصحاح، للرازي، محمد بن أبي بكر، (ت/ 666هـ)، بيروت، 1979م.
- المخصص، لابن سيده، علي بن إسماعيل (ت/ 458هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، 1320هـ.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق: محمد جاد المولى، وآخرين، مصر، 1958م.
- المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری، محمد بن عبد الله، (ت/ 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، 1990م.
- مستدرک الوسائل، للمحدث النوري، حسين بن محمد (ت/ 1320هـ)، طهران، 1383هـ.
- المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي، محمد بن أحمد، (ت/ 850هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- مسند أحمد، لأحمد بن حنبل، (ت/ 241هـ)، شرح: أحمد محمد شاكر، بيروت، 1949م.
- المصباح، للكفعمي، إبراهيم بن علي العاملي، (ت/ 900هـ)، لبنان، 2004م.
- معجم شواهد العربية، لعبدالسلام هارون، مصر، 1392هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، 1996م.
- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، إشراف: عبد السلام محمد هارون، المكتبة العلمية، طهران، د. ت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، د. ت.
- مفتاح العلوم للسكاكي، يوسف بن أبي بكر، (ت/ 626هـ)، القاهرة، 1317هـ.
- مقاييس اللغة، لابن فارس، مصر، 1368هـ.
- مكارم الأخلاق، للطبرسي، الفضل بن الحسن، (ت/ 538هـ)، بيروت، د. ت.
- نقائص جرير والفرزدق، ليدن، 1905م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مجدالدين المبارك بن محمد، (ت/ 606هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، مصر، 1963م.
- نهج البلاغة، للدكتور صبحي الصالح، بيروت، 1387هـ.
- همع الهوامع، للسيوطي، القاهرة، 1327هـ.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، عبدالملك بن محمد (ت/ 429هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، 1947.

\*\*\*